

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران - السانية -

معهد الفنون والآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان الرسالة:

الملاحم الصوتية في مقدمات المعاجم العربية

من القرن 2هـ إلى القرن 10هـ

إشراف الأستاذة:

إعداد الطالبة:

سعاد بسناسي

فاطمة الزهراء بخدة

لجنة المناقشة 2013/06/11

الأستاذ الدكتور: مختار بوعناني---رئيسا

الأستاذ الدكتور: مكّي درار-----مناقشا

الأستاذة الدكتورة: صفية مطهري-----مناقشة

الدكتورة: سعاد بسناسي-----مشرفة مقرر

السنة الجامعية: 2013/2012

المقدمة

الحمد لله الذي علّمنا بعد جهلنا، ورزقنا من خير كثير، وأرسل لنا نبيّ
الرحمة، محمد صلى الله عليه وسلم، أمّا بعد:

اهتم العرب بالقرآن الكريم، ولغته خوفاً من التحريف والتغيير؛ مفتخرين
بحفظه وتلاوته وترتيله، مما جعلهم يهتمون بالأصوات على أساس أنّها القاعدة
الأساسية التي تقوم عليها القراءات القرآنية. تنافس فيها العرب فاشتهر علماء من
الصحابة بالمهارة والبراعة في القراءات.

أخذ العرب يهتمون بالأصوات لتجويد القرآن، حتى عصر الخليل بن أحمد
الفراهيدي الذي عُنِيَ كثيراً بدراسة الأصوات؛ حتى ألّف كتاباً في النغم والأصوات،
متتبّعاً فيه أوزان الشعر وإيقاعه؛ مستخرجاً علم العروض. ثم معجم "العين"، الذي
رتبه على مخارج الأصوات، فبدأ بأبعد الأصوات مخرجاً في الحلق.

قام الخليل برسم الطريقة التي يمكن بها معرفة مخرج الصوت الحقيقي، فكان
موفقاً في طريقته؛ ولقد تابعه في رسم هذه الطريق تلميذه سيبويه، فتناول الجهاز
الصوتي وحدد مخارج الأصوات بدقة متناهية. وتحدث عن صفات الحروف الأساسية
من جهرٍ وهمسٍ؛ وغيرها من الصفات الثانوية كالشدّة والرخاوة.

فقد تأثر بسيبويه كل من جاء بعده من اللغويين، فأخذوا يرددون كلامه في
الأصوات دون أن يزدوا على ذلك شيء، ولكن العمل العظيم الذي قام به
الخليل؛ فتح الطريق أمام أصحاب المعاجم لدراسة الأصوات في مقدمات معاجمهم،



كابن دريد في مقدمة معجمه "جمهرة اللغة"، ثم الأزهرى في مقدمة معجمه "التهذيب"؛ فكانت هذه المقدمات دافعاً قوياً لاستقلال الدرس الصوتي، وأصبح فرعاً من فروع علم اللغة مستقلاً كالنحو؛ وأُفرد له عنوان واضح ومادة علمية تناولها العلماء بالشرح والتحليل.

التأليف المعجمي، يعتبر من الأعمال التي برع فيها العرب قديماً. ويبدأ التأريخ لهذا الفن كما سبق الذكر، مع "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بكتابه "العين"، رغم ما أثير حوله من جدل عن نسبته كاملاً إليه؛ إلا أنه حاز ريادة التأليف فيه.

وكما هو معلوم لدينا، ألف الخليل معجمه "العين" لرصد اللفظة العربية؛ بمختلف تقاليبيها، واشتقاقات الصوتية التي يمكن أن تستخلص منها؛ ورتب مادته هذه وفق الطريقة الصوتية التي ابتدعها وبرع فيها؛ وطريقته هذه؛ تأثر بها العديد ممن أتى بعده. وتأثرهم هذا يظهر بين طيات مقدماتهم في طرحهم لبعض القضايا الصوتية.

كتاب "العين" هو أول معجم لغوي عربي، فيه ما فيه من القضايا اللغوية؛ توالى من بعده معاجم أخرى، منها من تأثر بالمنهج المتبع في إعداده ومنها من ليس كذلك. وهي على الجملة كالآتي:

"العين" ل: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، و"جمهرة اللغة" ل: ابن دريد (ت321هـ)، و"البارع" ل: القالي : اسماعيل بن القاسم (ت356هـ)، و"تهذيب اللغة" ل: الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هـ)، و"الصحاح" ل: الجوهري (ت393هـ)، و"مقاييس اللغة" و"المجمل" ل: ابن فارس (ت395هـ)، و"المحكم" ل: ابن سيده

: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ)، و"لسان العرب" ل: ابن منظور (ت711هـ)، و "القاموس المحيط" ل: الفيروزبادي (ت817هـ).

ولقد ارتأيت أن أبحث عن هذه القضايا الصوتية، ضمن مشروع "صوتيات، عروض وموسيقى الشعر" تحت عنوان "الملاحح الصوتية في مقدمات المعاجم العربية" نظراً لما وجدته من ملاحح في بعض المعاجم؛ إضافة إلى هذا أن البحث الصوتي في حقل المعجمية، بحث ثري وممتع؛ يجلب الباحث إليه حتى يخوض في غماره.

لقد كان للدرس الصوتي حظوظاً كبيرة في مجال التأليف اللغوي عند العرب؛ وكما سبق ذكره أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي " هو من فتح هذا المجال من خلال مقدمة معجمه العين. الأمر الذي أدى بي إلى التساؤل عن المعاجم الباقية، هل اشتملت على ذلك أيضاً. ومن ثمّ طرح الإشكال التالي:

"كيف كانت منطلقات التأليف المعجمي عند العرب؟ وهل كان للدرس الصوتي أثر في ذلك؟ وإن كان كذلك؛ فيما تتمثل بؤادر التأليف المعجمي عند العرب؟ وباعتبار أنّ الخليل أوّل من فتح باب التأليف في هذا المجال، هل أبقى ممن جاء بعده على نفس ما أتى به؟ وإن كان غير هذا، فما هي أهم الخصائص والمميزات التي انفرد غيره بها عنه؟ وما هي أهم الملاحح الصوتية، التي يمكن استخلاصها من مقدمات هذه المعاجم؟

وإجابة على هذه الإشكالات، آثرت أن يكون بناء الموضوع قائم على مبدأ الفصول، نظراً لتوافقه وطبيعة ذلك؛ واقتضت أن تكون خطة هذا العمل كالاتي : مقدمة، مدخل، ثلاثة فصول فخاتمة.

خصص المدخل للحديث عن البدايات الأولى لاهتمام العرب باللغة وعنايتهم بها، إضافة إلى الحديث عن منطلقات الدرس الصوتي العربي؛ وكيف استطاع علماء العربية من ضبط اللغة وتحديد قواعدها، بعدها انتقلت لتوضيح المفاهيم الخاصة بالعنوان، وهي كالتالي: الملامح، الصّوت، المقدمات، والمعاجم. وهذا من خلال تقديم تعريف لغوي واصطلاحي لكل منها.

ولقد ترعرع هذا البحث المستفيض، في البحث عن الخصائص الصوتية لكل معجم مدرج للبحث بهذه الدراسة، في ثلاثة فصول نظمت شمل هذا البحث، أشير إليها هنا بالتسمية.

الفصل الأول وعنوانه: مدرسة الترتيب الصوتي؛ وقد تناول بالبحث المنهجي، حديثاً عن مدرسة الخليل الصوتية، من حيث التعرض لأبرز أعلام هذه المدرسة، من خلال أعمالهم؛ وأهم مميزاتها الصوتية، هذه الأعمال ممثلة في معجم "العين" للخليل، و"البارع" للقالبي، و"التهذيب" للأزهري.

والفصل الثاني وعنوانه: مدرسة النظام الألفبائي؛ وهو الآخر تناول بالبحث المنهجي، حديثاً عن هذه المدرسة، من حيث أعلامها، وأعمالهم المدرجة بهذه المدرسة، وعن أهم القضايا الصوتية المثبوتة في مقدمات معاجم هذه المدرسة، وهي كالتالي: "الجمهرة" لابن دريد، "المقاييس" و"المجمل" لابن فارس.

الفصل الثالث وعنوانه: مدرسة نظام القافية؛ وهو الآخر سيدور فيه الحديث عن هذه المدرسة من حيث أعلامها، وأعمالهم المدرجة بهذه المدرسة، وعن أهم

القضايا الصوتية المبتوثة في مقدمات معاجهم، وهي كالتالي: "الصحاح" للجوهري، "لسان العرب" لابن منظور، "القاموس المحيط" للفيروز آبادي.

أمّا عن المنهج المصاحب لخطة البحث؛ فكان منهج تكاملي، جمع بين المنهج الوصفي لما يحتويه من دقة الوصف المصاحب في الحديث عن: المدرسة، منهجها، أعلامها، والمعاجم الممثل بها. والمنهج المقارن المعتمد في استخراج أهم المميزات والعناصر المشتركة من قضايا صوتية بين المؤلفات المستشهد بها.

وكغيره من الأعمال، فلقد صادفت البحث عوائق لم تكبح جماح البحث في غماره، ولقد كان اعتمادي على جملة من المصادر اللغوية، والبحوث الأكاديمية التي عبت طريق هذا البحث، ولذلك جاءت مصادر البحث متنوعة بين أقدمية المصدر، وحداثة المرجع، اعتمدت عليها حتى أعبد طريق البحث. وكانت خاتمة البحث في إجمال النتائج التي توصلت إليها.

فلا أدعي لهذا البحث الكمال، ولا لمباحثه الشمولية والاستيعاب، ولكن عسى أن ينتفع به الناس وأنتفع : « **يوم لا ينفع مال ولا بنون** * **إلا من أتى الله بقلب سليم** » وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



يرجع اهتمام الإنسان باللغة إلى عصور سحيقة؛ فقد نُقلت عن كثير من الأمم والشعوب عنايتها باللغة، واشتغالها بقضاياها، وظواهرها. كما عُرف عن الدراسات العربية الجهود التي بذلت بعد ظهور الإسلام؛ و يُسجل لنا التاريخ، مايدل على دراسات لغوية مبكرة عند الأمم الأخرى، وهذا ما سنعرفه في العنصر الموالي.

المراحل التاريخية للدرس اللغوي

نُقل عن كثير من الحضارات التي سبقت العرب، اهتمامها بلغتها وتدوينها؛ فالهنود اهتموا بأصوات لغتهم، ومفراداتها وتراكيبها. وأقدم ما وصل من آثارهم يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد. (وقد كانت دراساتهم الصوتية مما بني عليه العلم الحديث. كما أنهم ألفوا في المعاجم. وكذلك اليونانيون؛ حيث اهتموا باللغة، وألفوا معاجم لغتهم قبل الميلاد، وارتبطت دراستهم اللغوية بالفلسفة¹). فاهتمام الهنود بالأصوات قعد للغتهم، باعتبار أنّ الفترة التي انتعشت فيها الدراسات اللغوية عندهم هي القرن الخامس قبل الميلاد.

ولعل تقعيد الهنود للغتهم، يرجع إلى اهتمامهم بكتابهم المقدس (Veda). بالإضافة إلى اليونانيين وهم معروفون بالفلسفة؛ وكان لهم اهتمام بلغتهم؛ حيث وظفوا العقل في شتى ميادين الحياة، حتى في الدراسات اللغوية. وذلك لتفكيرهم الدقيق، وحرصهم على إيجاد العلاقة بين الصوت والفكر. وكذلك نجد للسريانيين، والصينيين اهتماماً قديماً باللغة والنحو. فاهتمام هؤلاء، بتدوين أدبهم وحفظ لغتهم، يعدّ ملمحاً صوتياً مميزاً لهذه الفترة. كانت البحوث اللغوية في القرون الوسطى، وحتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي في أوروبا؛ محصورة في دائرة الاهتمام باللغتين اليونانية واللاتينية. وبعد اكتشاف اللغة السنسكريتية وحلّ رموزها عام 1786م على يد "سير ويليام جونز" (Sir William

¹ - إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، دارالعلم للملّين، ط 4، ماي 1987، ص14. وينظر: جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، تر بدر الدين القاسم، ص67.

Jans) تبين للباحثين وجود علاقة بين هذه اللغة وبين اليونانية واللاتينية؛ (فوجوها اهتمامهم إلى دراسة أوجه الشبه بين هذه اللغات على ضوء المنهج المقارن، وإلى البحث عن تقسيمات للغات العالم، ومحاولة الوصول لِلِغَّةِ الأولى¹). فالمنهج المقارن يقدم حقائق ثرية في هذا الموضوع، بحيث يحدد لنا أيّ اللغات هي أقدم وأسبق في الظهور؛ وقد نبّه بعض علماء اللغة الأوربيين، إلى عدم التركيز كثيراً على مسألة نشأة اللغة، والاتجاه إلى دراسة اللغة في ذاتها؛ فنشأ ما يسمى بـ: (علم اللغة الحديث) وتحدت مناهجه، ومباحثه. ولنا في العنصر الموالي وقفة مع جهود العرب قبل الإسلام وعنايتهم باللغة.

عناية العرب باللغة

لم يُؤثّر عن العرب قبل الإسلام إلا عنايتهم بالشعر، والخطابة، (وقد حفظوا لغتهم من التغيير؛ فعُدّوا الخطأ فيها عيباً يُتعيّر به، وشهّروا بأصحاب الفهامة واللغة، وأعلنوا بدائع شعرهم وخطبهم في أسواقهم المشهورة أيام مواسم الحج، فكان عِلْمُهُمُ الحَقُّ هو أدبُ لُغَتِهِمْ، وهو علمهم العقلي الوحيد؛ فلم يعنوا بجمع اللغة، أو التأليف فيها)². بعكس الحضارتين السابقتين، فإنّ العرب قاموا بحفظ لغتهم من كل عيب لغوي؛ لذلك لم يكن اهتمامهم بالتأليف بقدر ما كانوا يهتمون بنشر أدبهم مشافهة في الأسواق؛ وذلك للتعبير عن سلامة النطق وفصاحة اللسان لديهم. وهو الملمح الصوتي المميز لتلك الفترة؛ حيث نجدهم يشهرون بمن كانت لديه أيّة عاهة نطقية.

نلاحظ أنّ سلامة النطق العربي، تعني سلامة اللغة؛ أمّا بداية اهتمامهم باللغة وعلومها فكان بعد ظهور الإسلام؛ وأقدم ما روي عنهم في ذلك محاولات تفسير غريب

¹ - إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ص 17. وينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر

المعاصر، بيروت، ص 84.

² - محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان ص 21.

القرآن، كتلك المسائل التي دارت في فناء المسجد الحرام بين عبدالله بن عباس — رضي الله عنهما — ونافع ابن الأزرق كما ذكر ذلك السيوطي في كتابه "الإتقان"¹. وعن اهتمام العرب بلغتهم بعد ظهور الإسلام، سيكون حديثنا في العنصر التالي.

عناية العرب بمصدري اللغة

حظيت الدراسات اللغوية باهتمام العلماء منذ عصر التدوين الأول؛ وتعد سنة (143هـ) بداية نهضته؛ (وفي هذه السنة حجّ أبو جعفر المنصور، والتقى في المدينة بالإمام مالك بن أنس، وطلب إليه أن يكتب كتاباً في الحديث، فكتب له "الموطأ" في الفقه والحديث).² وعند رجوعه من الحج، كلّف مجموعة من العلماء بتدوين مؤلفات في كل الفنون؛ وكان للحقل اللغوي نصيب من ذلك؛ حيث ترك لنا اللغويون ثروة لغوية تبين قيمة جهودهم.

وتوجّهت عناية العلماء العرب إلى القرآن الكريم، الذي به حفظت العربية نقية صافية في مفرداته وأصاليه. ومن ثم اهتم الصحابة ومن بعدهم بتفسير ألفاظه، وشرح غريبه. فوُلج هذا المضمار عدد من الرجال أبدعوا في ذلك؛ فتركوا ذخيرة تعد الأولى من نوعها في حفظ الثروة اللغوية وتدوينها. ومن هؤلاء (عبد الله بن عباس (ت 68هـ) فقد نسب إليه أول كتاب في غريب القرآن، وأبو سعيد بن تغلب بن رباح البكري (ت 141هـ) وغيرهم كثير ممن حفلوا بهذا الكتاب المقدس)³ فالاهتمام بالقرآن الكريم، كان من خلال ترتيب ألفاظه ترتيباً أبجدياً، كما تطرق البعض منهم إلى مشتقاته ودراسة استعاراته.

1_ ينظر، عبده الراجحي، فقه اللغة في كتب العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 120.

2_ عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، ط 2، 1393هـ/1974، ص 11.

3_ جورج زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، ط 1، ص 240.

وفي المقابل؛ وجَّه البعض عنايتهم إلى غريب الحديث؛ وقد أسهم في هذا اللون من الدراسات اللغوية، عدد من الأعلام مثل: (أبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) وله كتابه المشهور غريب الحديث، ويقال إنه مكث في جمعه واعداده وتفسير غريبه أربعين سنة).¹ وتتوالى جهود من بعدهم عبر عصور بالتأليف في هذا المجال؛ فنجد الحقائق في غريب الحديث للزمخشري (ت 538 هـ) ومجد الدين بن الأثير، في مؤلفه النهاية في غريب الحديث والأثر، وعليه اعتمد كثير من اللغويين مؤلفي المعاجم².

إنَّ العناية بغريب القرآن والحديث، كانت مرحلة البداية للعناية بالثروة اللغوية عند القدامى، والتي احتوت على ألفاظ لم يأت به القرآن الكريم والحديث الشريف، تحاشاها المصدران الكريمان؛ فكان لابد من جهود أخرى في هذا المجال. (وقد وجد اللغويون المجال الفسيح مع الألفاظ اللغوية، التي تدور حول موضوع واحد).³ والشيء الذي أدى بهم إلى أن يتجهوا هذا الاتجاه، هو سهولة تأتي هذه المواضيع، وإمكان حصرها، فقاموا بجمع الألفاظ ذات الصلة بالإنسان، وبالحيوان كالخيل، والفرس، وبالنبات، كالأشجار والكلاء، وبالحشرات، كما كتبوا في المعرَّب، والدخيل، والأعجمي، وغير ذلك.

وأسهم هذا النوع من المؤلفات، في وضع خطوة تالية من المصنفات الخاصة بغريب القرآن والحديث؛ اتخذ بعضها شكل الرسائل الصغيرة، ككتاب المطر لأبي زيد سعيد بن أوس (ت 215 هـ)، وكتب النخل والخيل للأصمعي (ت 216 هـ)، وغيرها من المصنفات التي توالى في هذا المجال؛ مثل الغريب المصنف لأبي عبيد (ت 224 هـ)، والألفاظ الكتابية للهمداني (ت 327 هـ)، والثعالبي (ت 429 هـ) في كتابه فقه اللغة وسر العربية،

¹ - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دار الأطلاس. دمشق ط1، 1986، ص76.

² - ينظر: عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، بيروت - لبنان، ط2، 1994، ص43، بتصرف.

³ - مأمون تيسير محمد مباركة، الشاهد النحوي في معجم الصحاح للجوهري، رسالة ماجستير، إشراف أحمد حامد، نابلس فلسطين، 2005، ص26.

وابن سيده (ت 458 هـ) في المخصص.¹ هذه المصنفات فتحت حقل الدراسات اللغوية المعجمية، التي تعددت مذاهب مصنفها في طريقة تدوينها.

اللغة بين المفهوم والوظيفة

تُعَدُّ اللغة ظاهرة إنسانية؛ لأنها تتعلق بالنوع البشري، وهي تختلف عن نظم الاتصال الأخرى كاللغة الإشارية والحيوانية. ولقد عرف المجتمع الإنساني، اللغة في أقدم صوره، وبذلك أتاحت له المجال في تكوين مجتمع وإقامة حضارة.

اللغة في المعاجم اللغوية مشتقة من (لغا يلغو إذا تكلم)² فمعناها الكلام. أما اصطلاحاً فعرفت بتعريفات عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح عثمان ابن جني (ت 392 هـ) في كتابه (الخصائص) حيث قال: (أما أحدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)³. هذا قبل أن تتحول إلى رموز مكتوبة، أو مرسومة. والملح الصوتي من هذا النص يبرز في جانبين أساسيين هما: طبيعة اللغة، ووظيفتها.

فحقيقة اللغة كما بينها ابن جني، تقوم أصلاً على الأصوات، قبل أن يتم تمثيلها عن طريق الكتابة أو الرموز؛ أما من حيث الوظيفة فتؤدي اللغة وظيفة التعبير عن أفكار ومشاعر، وطباع الناطق بها. وهذا يظهر من عبارة (يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم). بيد أنه عند الإمعان الدقيق في مفردات النص وما توحى به، نجد أن اللغة تؤدي وظيفة أخرى قصدها ابن جني، وهي: الدور الذي تلعبه في الحياة الاجتماعية، والتي تبرز من خلال كلمة "القوم" التي دلّت على المجتمع.

وتعريف ابن جني الذي تناقله علماء العربية - على اختلاف تخصصاتهم -

¹- ينظر، عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص 43، 44، وينظر، ديزره سقال، نشأة المعاجم العربية وتطورها، دار الصداقة العربية بيروت، ط 1، ص 8، بتصرف.

²- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 15، ص 251.

³- أبو الفتح بن جني، الخصائص، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، ج 1، ص 87.

يضارع أحدث التعريفات للغة؛ حيث ترى أن اللغة أصوات منطوقة، وأنّ وظيفتها التعبير عن الأغراض، وأنّها تعيش بين قوم يتفاهمون بها، ولكل قوم لغة خاصة بهم. فهذه _ تقريباً _ هي الأركان التي يقوم عليها تعريف اللغة عند من عرّفها، وإن كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتوسع؛ فتدخل في اللغة كل وسيلة تفاهم، ولا تقتصر على الأصوات فتجعل فيها الإشارات وتعبيرات الوجه وغيرها، فإن الأشهر هو حصر اللغة في الأصوات المنطوقة؛ لأن غيرها من الوسائل محدودة من حيث أداء الوظيفة التواصلية.

وعرف ابن الحاجب اللُّغة بأنها (كل لفظ وضع لمعنى)¹ أي أنّ ابن الحاجب حدد اللغة بأنّها كل معنى يقابله لفظ يحمل معناه الأصلي. ويراهما بعض المحدثين (أنّها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية تُخزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين)². فاللغة من هذا المفهوم، هي ترجمة الأفكار التي تكون في ذهن المتكلم إلى رموز. وبالتالي تصبح كلمات متعارف عليها عند الجماعة اللغوية الواحدة لتستعمل في حياتهم اليومية، ويتواصلون بها ومن خلالها.

وهناك تعريف آخر قدم للغة على أنّها (معنى موضوع في صوت)³. فالصوت هو المحور الأساسي الذي تقوم عليه الصيغ الفردية التي تحمل معانٍ، وهو في هذا؛ المقطع الذي يشكل عناصر المفردة.

فاللغة ظاهرة إنسانية تختلف عن نظم الاتصال البسيطة الأخرى الموجودة عند الإنسان وعند الحيوان في أنّ اللغة الإنسانية نظام مركب معقد من الرموز.⁴ فلكل كائن حي لغة يتواصل بها مع أفراد مجتمعه، قد تتميز بمجموعة من الرموز والإشارات المعقدة، واللغة

¹ _ أبي الشاء الأصفهاني، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تح محمد مظهر بقا. دار المدني للطباعة والنشر جدة، ط 1، ج 1، ص 150.

² _ حاتم الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي الموصل، جامعة بغداد 1989، ص 32.

³ _ أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة ط 5، 1998، ص 5.

⁴ _ محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 11.

الإنسانية قد تكون أكثر تعقيدا من غيرها، وذلك لما تحمله من إشارات يصعب على غير المتعاملين بها فهمها.

وعليه فإنّ اللغة فعّالة وضرورية في حياة الفرد والمجتمع؛ بحيث تمكّن الفرد من التعبير عن أفكاره، وأحاسيسه وحاجياته ورغباته. وفعالة في المجتمع أيضاً، باعتبارها أداة للتفاهم، والتخاطب والتواصل بين أفرادها.

أساس أيّ لغة هو الصوت، إذ يمثل اللبنة الأساسية التي يقوم عليها التركيب اللغوي. ولقد فتح هذا المكوّن باب الدراسات الصوتية في مجال اللغة؛ عند العديد من الأمم، الغربية والعربية هاته الخيرة التي سيخصص العنصر الموالي للحديث عنها؛ وذلك من خلال ترصد المراحل الأولى للدرس الصوتي عند العرب.

بوادر ظهور الدرس الصوتي عند العرب

لما كان الصوت محور العديد من الدراسات اللغوية، جلب اهتمام علماء اللغة القدامى من شعوب مختلفة؛ كما سبق ذكر ذلك عند اليونان، والرومان، والهنود. إلى جانب علماء العربية الذين أولوه عناية شديدة على اختلاف مشاربهم واهتماماتهم.

إنّ بداية الاهتمام بالأصوات اللغوية العربية؛ كان من أجل ضبط القرآن الكريم بالنقط ليسلم من كلّ زل، وفي ذلك يقول ابن خلدون: (فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت الملكة بما ألقى إليها السّمع من المخالفات التي للمتعبين، و السّمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها ممّا يغيرها لجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسها ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم¹). إنّ العرب لما خالطوا الأمم الأخرى، كالهنود واليونان حاولوا حماية لغتهم، خوفاً من أن يصيبها الزل، ويلحق بناطقيها عيوب نطقها، وهو ما قد يمس بالقرآن الكريم والحديث النبوي. فالملح الصوتي هنا، هو

¹ - ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن

الأكبر، مط دار الجيل بيروت، ص 604.

محاولة وضع معايير ثابتة تضبط الألسنة، وتحافظ على استقامتها خوفاً من الوقوع في اللحن.

قام نخاة العربية بدراسة الأصوات العربية في وقت مبكر، ومع أنّ مصطلح "الصوتيات" لم يكن معروفاً وقتئذٍ لعدم استقلال الدرس الصوتي بنفسه، فإنّهم خصصوا أبواباً مستقلة في كتبهم لهذه الدراسة، وقد حققوا بذلك نتائج قيّمة في مجال الدراسة الصوتية شابهت إلى حدّ كبير ما توصّلت إليه الدراسة الصوتية المعاصرة، (على الرغم من ندرة الإمكانات و الوسائل، وبساطة الطرق والمناهج المتبعة، وتعود نشأة الدرس اللغوي بعد ذلك مراحلاً وأطواراً حتى اكتمل واستوى)¹ وازدهر الدرس الصوتي العربي القديم في حضن القراءات القرآنية، واللهجات العربية المختلفة.

وقد تمثلت بداية التفكير اللغوي العربي في جهود أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) ومحاويلته نقط المصحف الشريف؛ حيث قال: (أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولاً، فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغاً يخالف لون المداد وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضمنت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة (يعني التنوين) فاجعل نقطتين. ففعل ذلك حتى أتى على المصحف)² فأبو الأسود بعمله هذا، قام بوضع نقط الإعراب، وهي كما ذكرت في النص كانت عبارة عن نقط، وضعت فوق آخر حرف من الكلمة؛ ومنها أخذت هذه العلامات الصوتية اسمها، فمن فتح الشفتين، ووضع نقطة فوق الحرف الفتحة؛ ومن كسر الشفتين

¹ مكّي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير لغويات، جامعة وهران السانية، ص 7.

² القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر مطابع كوستاتوماس وشركاه، ج 3، ص 156، وينظر، عبد الله بن يوسف الجذيع، المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط 2، 2004، ص 7.

ورسم نقطة أسفل الحرف إشارة إلى الكسرة؛ أمّا الضمة فتتمثل في وضع نقطة بين يدي الحرف أيّ وسطه. وقد أشار إلى التنوين، بتكرار العلامة التي هو بصدد تدوينها. وهذه المصطلحات التي جاء بها وهي : فتحة، وكسرة، وضمة هي علامات بناء؛ أمّا الرفع، والنصب، والجرّ فهي علامات إعراب؛ والتسميّة نسبة لوضعيّة اللسان التي يكون عليها، أثناء النطق بها.. فمّن انفتاح الشفتين كانت الفتحة، ومن انضمامهما مقتربتين من بعضهما غير ملتقيتين، سميت الضمة، ومن انكسارهما للوراء في شبه ابتسامة، سميت الكسرة؛ ومن تكرار أيّة عملية جاء التنوين..¹ والملمح الصوتي هو وضع أبي الأسود لنقط الإعراب، فهو بهذا قدّم أولى بدايات الدرس الصوتي العربي الذي كان القرآن الكريم والحديث الشريف حجرأساس لها.

علماء بعد أبي الأسود الدؤلي

توالى دراسات عدة في مجال نقط الإعراب وتطويرها، تناوب فيها تلامذة الدؤلي ومن لحقهم من علماء اللغة؛ تاركين زخماً لغوياً قيّماً جلب اهتمام العديد من الباحثين فيما بعد. و مّن أرسى قواعد الدرس الصوتي العربي، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، الذي عمّق الدراسة الصوتية. إذ امتد عمله في مختلف مجالات الدراسة اللغوية؛ فهو كما يقول الرواة: (مسؤول عن أوّل معجم عربي، أعني كتاب العين، وهو واضع علم العروض وأوزان الشعر وهو المؤلّف في الموسيقى)² فالخليل لما وضع المعجم، استند في ذلك على عمل أبي الأسود؛ حيث طوّر من عمله لنقط الإعراب، فجعل الحركة بدل النقطة؛ وهي المتعارف عليها في قواعد الإعراب.

¹ مكّي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية من البرامج الوزارية، منشورات دار الأديب، السانبا وهران، ص15.

² إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1981، ص88. وينظر: أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة العين، دار الفكر، دمشق، 1998، ص16.

كما أضاف الخليل كلاً من (السكون والشدة)¹ وأتم ذلك بابتكاره لأول معجم عربي رتبه وفق طريقة جديدة، وهي اعتماد مخارج الحروف في تصنيف المادة والترتيب والتبويب وفقها. وقد ابتدأ بحرف العين، إذ يرى أنّ مخرجه أول مخارج الحروف في جهاز النطق. وهو ملمح صوتي؛ لأنّه قام بفتح باب الدراسة في حقل الأصوات لمن أتى بعده. ويمكن رؤية ذلك، في مؤلفاتهم؛ منهم سيبويه في الكتاب، وهو تلميذ الخليل، وابن جني بعدهما، وغيرهما.

ولما كان الأمر من فتح حقل المعجمية العربية، مجال الدراسة الصوتية؛ كان من الأنسب أن تدرس تلك المعاجم دراسة موجزة تُعنى بأصحابها، وبالمنهج الذي اتبعوه في تأليفها، وبيان خصائصها، ومميزاتها، وما أخذها؛ حتى يكون الباحث على بينة من أمرها؛ بحيث يتمكن _ عند الكشف عن معنى لفظ يريده _ من أن يختار منها ما يناسبه دون مشقة وعناء.

بدايات التأليف المعجمي

مهّد اللّون الشّائع من المصنّفات اللّغويّة التي اشتغلت بغريب الألفاظ؛ لميلاد لون آخر، يقوم بشرح المفردة، وإزالة ما يعتريها من غموض يشوبها حين ترد في سياق ما، هذا السياق الذي يتوقف فهمه على فهم مدلولها؛ الأمر الذي لم توفره الكتب المشار إليها سابقاً. (إذ أنّها تسير في طريق مقابل، تفترض معرفة الموضوع والمعنى ثم ترشد إلى اللفظ. وقاد الخليل (ت170 أو 175 هـ) اللغويين في هذا الميدان الجديد، بما ابتكره حين وضع أول معجم عربي سمي كتاب العين.)² ففتح بذلك مجال التأليف في هذا الحقل اللغوي.

كما توالى مؤلفات عدّة في هذا المجال، نذكر منها: الجمهرة لابن دريد (ت321 هـ) والتهذيب للأزهري (ت380 هـ)، والصحاح للجوهري (ت398 هـ)، وأساس

¹ - ينظر، مكّي درار، الجمل في المباحث الصوتيّة من الآثار العربية، دار الأديب للنشر، وهران، ط1، ص65.

² - عبد السميع محمد أحمد، المعاجم العربية دراسة تحليلية، ص 14. وينظر: عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص35.

البلاغة للزمخشري (ت538هـج)، ولسان العرب لابن منظور (ت711هـج)، والقاموس المحيط للفيروزبادي (ت816هـج)؛ وغيرها من المعاجم الأخرى التي توالى فيما بعد.

لم يكن جمع اللغة وتدوينها عند العرب وحدهم؛ بل اهتمت أغلب الأمم بذلك منهم (الآشوريون في كتاباتهم المسمارية، والصينيون الذين خلفوا طائفة من معاجمهم، وكذلك اليونان، فقد ذكرت لهم معجمات قديمة)¹ فحفظ اللغة؛ كان معروفاً عند هؤلاء الأقوام، وتدوينها وتخصيص معاجم لها يُعدُّ ملمحاً صوتياً بارزاً في هذه الفترة.

إنَّ العرب حين وضعوا معاجمهم (كانوا مبتكرين غير مقلدين، ومبدعين غير متبعين؛ فلقد دعتهم إلى وضعها دوافع ملحة لم تترك لهم فرصة التلقي والكشف عن آثار السابقين من أمم أخرى)² فالعرب عرفوا بأدب المشافهة قديماً منذ العصر الجاهلي، إلى العصر الإسلامي الأول. فقد كان اعتمادهم على الرواية؛ بعكس الأمم السابقة؛ حيث عرف عرب رواة ثقة أمثال: (حماد الراوية، وخلف الأحمر). و حفظهم للغة والأدب دفعهم إليها أسباب ملحة، أهمُّها حفظ القرآن الكريم مخافة اللحن، وهو الملمح الصوتي البارز في هذه الفترة. والباحث في التراث اللغوي العربي، يجد كل هذا، بدليل المصنفات المتنوعة من حيث طريقة تأليفها. ومنه، تنتقل إلى العنصر الموالي المخصَّص للحديث عن المعجم، وأهميته.

ماهية المعجم

لا تتحقق دراسة المعاجم العربيَّة لأيِّ دارس، إلَّا إذا أدرك المعنى الحقيقي للفظَة معجم وما يتصل به، وكذلك مصدر تسميته، ولذلك نقف أولاً عند معنى الجذر (ع، ج، م)، وهو المادة الأصل لكلمة معجم، ويكون ضبط مصطلح المعجم من منظور أهل اللغة أولى خطوات البحث المنهجية.

¹ - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1990، بيروت-لبنان، ص 41.

² - أحمد زرقعة، أصول اللغة العربية، منشورات دار علاء الدين دمشق، ط 1، ص 25.

تفيد مادة (عجم) في اللغة معنى الإبهام والغموض. وجاء في معجم مقاييس اللغة أن (العين والجيم والميم ثلاثة أصول، أحدها يدل على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدة، فالأول: الرجل الذي لا يفصح، وهو أعجم، والمرأة عجماء بيّنة العجمة)¹. وقال: (ويقال: للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعجم، ويقال: صلاة النهار عجماء؛ إنما أراد أنه لا يجهر بها بالقراءة، وقولهم: العجم الذين ليسوا من العرب؛ فهذا من القياس كأنهم لما لم يفهموا عنهم سموهم عجماء)² وهكذا نجد أن استعمال العرب لمادة (عجم)، وما تصرف من ألفاظها؛ إنما هو للدلالة على الإبهام والخفاء. وجاء في لسان العرب: (رجل أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عجمة)³، وذلك لأنه لا يتكلم بلغة المجتمع الذي هو غريب عنه. هذا عن معنى الفعل المجرد من الزيادة (عجم) أمّا إذا أدخلنا عليه الهمزة ليصير مزيداً (أعجم)، فالفعل يأخذ معنى أخرجديد يفيد السلب والإزالة. (ففي اللغة أشكيت زيدا أزلت له شكايته، وفيها أقدّيت عين فلان إذا أزلت ما بها من قذى. ومثلها قسط بمعنى الظلم وأقسط أي عدل)⁴ وبهذا يدل معنى أعجم على إزالة العجمة، والغموض، و الإبهام. والمعجم اصطلاحاً، قدّمت حوله تعاريف عدّة، حتى استقر على أنه كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين، هذه الألفاظ تكون (مشروحة شرحاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث)،⁵. فالشرح، هو الميزة الأساسية التي ينبغي وجودها في المعجم؛ فهي وظيفته الرئيسة التي وضع من أجلها، حتى يعين الدارس للوصول إلى مراده.

¹ - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص240.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 07، ص 220.

3 - نفسه، ج7، ص، 221.

¹ - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب - القاهرة، ط4، 1972، ص151 .

² - ينظر، إبراهيم نجا، المعاجم اللغوية، دار الحديث القاهرة، 2008، ص5.

مادة المعجم الأساسية، هي الكلمة أو المفردة التي يقدم لها المعجم شرحاً أو تعريفاً مفصلاً؛ فالمعجم (كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء، أو الموضوع).¹ وبالتالي يزيل ما بها من غموض؛ موضحاً في بعض الأحيان طريقة نطقها، وكيفية استعمالها في تراكيب مختلفة. معتمداً طريقة خاصة في ترتيبها؛ إما على أساس الحروف، والتي تشمل عدة ترتيبات منها الترتيب الهجائي والأبجدي المعروفين؛ باختلافهما عند المشاركة والمغاربة، الترتيب الصوتي الذي قدمه الخليل بن أحمد الفراهيدي. أو على أساس الموضوع؛ بحيث تُقسَّم المادة المعجمية على أساس الموضوع الرئيس الذي تندرج تحته. مثلاً جمع ألفاظ الأشجار، والعشب وكل ما له صلة بالنبات يُدرج تحت موضوع واحد؛ ثم يُقدم شرح مفصل لكل كلمة واقعة تحت موضوعها الخاص بها. وهذا ما يسمى في الدراسات الحديثة، بالحقول المعجمية².

وهناك من قدم تعريفاً آخر للمعجم على أنه (كتاب ضم ألفاظ اللغة، ومفرداتها واستقصاها، ورتبها بطريقة تيسر أمر العثور على ما يريده الباحث منها بعد ضبطها بدقة، وبيان معناها بوضوح، وقد يضيف إلى ذلك المصادر التي استقى منها مادته).³ الأصل في المعجم أنه كتاب يجمع بين دفتيه كمّاً من المفردات، يقوم صاحبه بجمعها بين قبائل العرب، ويقدمها بطريقة تيسر أمر البحث عنها، مزيلاً ما يعترضها من غموض حول المعنى الذي تحمله. وهذا لا يتأت إلا بعد ضبطها من حيث الحركة والوزن؛ فأَيُّ تغير فيهما قد يقلب موازين الكلمة. وهنا تكمن أهمية الدراسة الصوتية للموازن

¹ - اسماعيل بن حماد الجوهري، مقدمة الصحاح، ص 53.

² - ينظر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص 15.

³ - عيد محمد الطيب، المعجم اللغوي بين الواقع والمثال. ط 1، 1414هـ/1993، ص 8.

الصَّرْفِيَّة. والأصل في المعجم أنه يتضمن أربعة عناصر¹، يمكن معرفة وظيفتها من خلال الجدول التالي:

جدول عناصر المعجم ووظيفتها

عناصر المعجم	وظيفتها
النص المعجمي	يدخل فيه الشواهد من شعر ونثر وكلام العرب بكافة ألوانه، وما في الكلام من سياقات تعين على استنباط المعنى مجرداً.
المادة اللغوية	كل ما يتصل بالمادة اللغوية بعد تجريدتها من زوائدها، وردّها إلى أصولها، فيشمل تصريفات الكلمة، وجميع ما أجراه العرب ومن يعتد بالمعجم بلغته على الكلمة من تصريف، أو من تغيير تستوعبه القواعد الصرفية أو لا تستوعبه.
بيان المعاني وتفسيرها	بيان أوجه المعاني للمادة الواحدة واستنباط ذلك من النصوص، كما يدخل فيه ضبط الألفاظ وبيان نطقها على الوجه الصحيح.
طريقة سبك المعجم وترتيب المواد	يتناول التبويب والترتيب والطريقة التي سبكت بها مادة المعجم، من أول حرف يخط فيه إلى آخر كلمة يدونها مؤلفه، وذلك من خلال طرائق الترتيب والتنظيم المعروفة التي تتفاوت في أغراضها ومقاصدها، وهي ما يسمى أنظمة المعاجم.

تعليق على مكوّنات الجدول:

يتضح من خلال الجدول، العناصر الأساسية التي يقوم عليها المعجم، والتي ينبغي توافرها حتى يسلم المعجم من الإهمال والضياع؛ فانعدام عنصر من هذه العناصر، قد يعرّض المعجم إلى الاندثار نظراً لعدم الاهتمام به.

وهناك شرطان لا بد من توافرها في أي معجم هما: الترتيب والشمول؛ ويعد الشمول أمراً نسبياً تتفاوت المعاجم في تحقيقه؛ أمّا الترتيب، فلا بد من تحقيقه (وإلا فقد

¹ - ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 155.

المعجم قيمته. وقد كان تعدد طرق الترتيب المعجمي عند العرب، وتفاوت هذه الطرق صعوبة وسهولة سبباً في موت معاجم وحياة أخرى، وخمول بعضها وشيوع أخرى.¹ فالشمول، قد لا يتحقق ما لم يلم المؤلف بجميع المفردات اللغوية أو أغلبها، لذلك لا يمكنه حصرها تماماً. بينما ينبغي إحكام الترتيب؛ وضبطه بطريقة تيسر عملية البحث في معجمه؛ وإلا فقد قيمته وتخلّى عنه الدارسون، ومنه ننتقل إلى الحديث عن أنواع المعاجم، فيما هو آت.

أنواع المعاجم

ينبغي التفريق بين نوعين من المعاجم اللغوية أحدهما: يشرح معاني الألفاظ ويبين أصلها وما اشتقت منه، والثاني يهدف إلى جمع الألفاظ الموضوعية لمختلف المعاني. بالنسبة للنوع الأول يعتمد صاحبها على نظام معين في ترتيب المواد اللغوية؛ بحيث يمكنه جمع اللغة بطريقة حاصرة سواء على نظام التقليلات، أم القافية، أم الأبجدية، ويطلق على هذا النوع من المعاجم اسم (المعاجم المجنسة) أو (معاجم الألفاظ).

وقد مرّ تأليف هذه المعاجم بمرحلتين: (الأولى جمع الكلمات كم اتفاق؛ فالعالم يرحل إلى البادية؛ فيسمع كلمة مثلاً كلمة في الأنواء، وثانية في المطر، وثالثة في الغابات والشجر وهكذا. . . والثانية، جمع الكلمات بطريقة حاصرة لكل ألفاظ اللغة، وهذا هو المقصود الآن من المعاجم اللغوية. أما عن النوع الثاني يرجع إليها من يعرف المعنى، ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له. ويُطلق على هذا النوع بعضُ الباحثين: المعاجم المبوبة أو معاجم المعاني أو معاجم الموضوعات)². فالباحث، هو الذي يحدد نوع المعجم الذي هو بصدد البحث عن غايته وهدفه بداخله. فإن كان يريد الوصول إلى معنى مفردة معيّنة، اعتمد في هذا على أحد معاجم الألفاظ، وهي معروفة من مثل: معجم العين للخليل بن

1- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء، عمان - الأردن، ط1، 1999، ص 80.

2- أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، مطبعة حسان القاهرة، 1404هـ، ص 6-7.

أحمد، والتهذيب للأزهري، ولسان العرب لابن منظور وغيرها. بحيث تقدم هذه المعاجم، المعنى المراد من اللفظة، مع تفرد كل واحد منها بنظام خاص به في ترتيب مواده. والعكس إذا كان يعرف المعنى العام، ويريد الوصول إلى الألفاظ التي تندرج تحته؛ اتجه إلى أحد معاجم المعاني كالمخصص لابن سيده (ت458هـ). وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت429هـ).

بين القاموس والمعجم

ترد مفردة قاموس بديلة عن المعجم في مواضع متعددة، مع وجود اختلاف بينهما؛ ففي العصر الحديث، تم إطلاق كلمة قاموس على أي معجم عربي كان أو غير عربي، لما يوجد من تداخل بين المفردتين، فقد جاء في لسان العرب؛ أن لفظة قاموس تعني (قعر البحر، أو وسطه، أو معظمه. وقال ابن عبيد: القاموس أبعد موضع غوراً في البحر)¹. فقد أسقط صاحب المعجم؛ هذه الصيغة للدلالة على شموليته واتساعه في شرح المواد. إذ أنّ الباحث، لا يرح أن يغادره حتى يحصل على ما كان بصدد البحث عنه. وميلاد هذا المعنى الذي ألصق بلفظ قاموس، يرجع إلى الفيروزآبادي، الذي ألف معجماً سماه (القاموس المحيط) وهو وصف للمعجم بأنه بحر واسع أو عميق. وقد صار المعجم مرجعاً لكل باحث ودارس. وبمرور الوقت، ومع كثرة ترديد هذا الاسم على ألسنة الباحثين، ظنّ بعضهم أنه مرادف لكلمة معجم واستعملوه بهذا المعنى، وصار يطلق لفظ القاموس على أيّ معجم، (وظل هذا اللفظ محل خلاف بين العلماء، فمن مهاجم له، ومدافع عنه، حتى أقرّ مجمع اللغة العربية هذا الاستخدام؛ وذكره ضمن معاني كلمة قاموس في معجمه المسمى بالمعجم الوسيط . واعتبر إطلاق لفظ القاموس على أي

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص65. وينظر: عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، دار صفاء

للنشر، عمان، ط1، 1999، ص29.

معجم من قبيل المجاز.¹ فلفظة قاموس أضحت محل خلاف بين الدارسين؛ إذ استعملت بدل كلمة معجم، وأصبحت تطلق على العمل الأدبي الذي يجمع مفردات اللغة، ويقدم معانيها المختلفة، إلى أن جاء مجمع اللغة العربية وأقرّ به.

وظيفة المعجم

يقوم المعجم اللغوي بمهمة، تعد أساس تصنيف المعاجم، هذه المهمة هي حفظ لغة العرب وصونها من الضياع والتحريف واختلاطها بما ليس منها، وتنقيتها من الشوائب الدخيلة عليها، كما أن المعجم يقوم بمهام أخرى تخدم المهمة الأساس، وتسعى إلى تحقيقها، سنذكرها فيما هو آت.

يهتم المعجم بشرح الكلمة وبيان معانيها؛ إمّا من خلال تتبع تطورها في عصر واحد أو من خلال عصور مختلفة، ولكي يكون المعجم ملماً بهذا الغرض، ينبغي أن يعرض المفردة في سياقات متعددة، حتى يتضح معناها، ويدرك القارئ استعمالاتها المختلفة.

إضافة إلى تبين كيفية نطق الكلمة، وهذه الطريقة تتخذها بعض المعاجم الأجنبية لبيان النطق؛ تتلخص في استخدام رموز صوتية، تساعد الباحث للوصول إلى النطق السليم؛ أما بالنسبة للمعاجم العربية، فقد كان أصحابها (ينصون على الضبط إمّا بأن يقولوا على وزن كذا... أو يقولوا إن نطق كلمة كذا يشبه نطق كلمة كذا، أو يكتفون بضبط الكلمة بالشكل، إمّا بوضع الحركات وإمّا بالنص على نوع الحركة).² فحرص المعجمي، على بيان مثل هذه العناصر المهمة مثل كيفية نطق الكلمة، يعدّ ملمحاً صوتياً بارزاً في عمله، فتحديد الميزان الصرفي للكلمة، والحركات المناسبة تساعد القارئ على النطق السليم لها. إضافة إلى هذا، هناك وظيفة أخرى، لا تكاد تفرق الوظيفة الأولى،

¹ - إبراهيم محمد نجا، المعاجم العربية، ص 12. وينظر، عبد القادر الفاسي الفهري، تعريب اللغة وتعريب

الثقافة، مقال بمجلة العربيّة للدراسات اللغويّة، معهد الخرطوم الدولي، ط1985، ص73.

² - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص153.

وهي بيان كيفية كتابة الكلمة، خاصة حين يتعلق الأمر بالكلمة التي لا تمثل بعض أصواتها المنطوقة. ومن أمثلة ذلك كلمة: (عبد الرحمن، الله)،... وغيرها.

يبين المعجم الوظيفة الصرفية للكلمة، وطبيعتها الاسمية أو الفعلية أو الحرفية¹. حتى يسهل على القارئ مهمة البحث عن طبيعة الكلمة، ويتمكن من استخراج معناها بطريقة صحيحة.

كما يقدم المعجم تحديداً لموقع النبر بالكلمة، فبالرغم من أن انتقال النبر من مقطع لآخر لا يغير من معنى الكلمة، إلا أننا نجد المعجميين العرب يهتمون توضيح ذلك وتحديده، بالرغم من ضرورته في بيان النطق السليم لمن يريد تحقيق ذلك في اللسان العربي الفصيح.² فالنبر قد لا يستطيع أي قارئ تمييز موقعه في المفردات أو التراكيب³، وبالتالي فإن المعجمي يوضح ذلك حتى يسهل مهمة النطق السليم للكلام. هذه المهام، تقوم بها المعاجم في عمومها، ويختص كل نوع من أنواع المعاجم بوظيفة أو وظائف تخصه قد لا تسعى بقية المعاجم إلى تحقيقها.

ترتيب الحروف في المعاجم

اختلفت طرائق المعجمين في ترتيب الحروف، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام هي: الأول ترتيب الحروف أبجدياً (أبجد هوز حطي... الخ) وقد اختلف هذا الترتيب بين المشاركة والمغاربة؛ فترتيبها عند المشاركة (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت تخذ ضغط) أما عند المغاربة فهي كالتالي: (أبجد هوز حطي كلمن صغفض قرست

¹ - تمام حسان، اللغة العربية منها وما معناها، الهيئة المصرية للكتاب ط3/1985، ص327.

² - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب ط1، 1418هـ/1998، ص115.

³ - وهنا نشير إلى أن مفهوم النبر عند القدامى يختلف عنه عند المحدثين؛ لأن النبر عند القدامى يتمثل بتحقيق الهمز، أما عند المحدثين فيقصد به الضغط على مقطع معين من المفردة، حتى تصبح أكثر وضوحاً وتأثيراً في السمع مقابل المقاطع الأخرى.

تخذظغش.¹ فلاحظ أنّ الاختلاف بين الترتيبين يبدأ بعد حرف النون، إضافة إلى أنّ الحرف في الترتيب الأبجدي يحمل قيمة رقمية، فمثلاً الألف يحمل رقم واحد، والباء اثنان وللجيم ثلاثة، إلى أن يصل إلى العشرة، وهذا مع حرف الياء. ثم ينتقل إلى الكاف عشرون، واللام ثلاثون إلى أن يصل إلى القاف، فيتغير التقييم إلى المئات إلى أن يصل إلى آخر حرف الذي يحمل قيمة الألف.

أمّا الترتيب الثاني، فهو الألفبائي أو الهجائي، والذي يبدأ بـ (أ ب ت ث ...). أساسه جمع الحروف المتشابهة، والمتقاربة شكلاً في موضع واحد حتى يسهل حفظها. وينسب هذا الترتيب إلى نصر بن عاصم (ت 89 هـ)؛ ويختلف ترتيبها عند المغاربة عن المشاركة؛ حيث جاء الترتيب عند المشاركة كالتالي: (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي)² أمّا عند المغاربة، فيرتفع العدد فيه إلى ثلاثين حرفاً، بعد أن كان تسعة وعشرين حرفاً عند المشاركة. ويكمن الاختلاف في حرف اللام ألف (لا) الموجود بالترتيب المغربي، وغير الموجود بالشرقي؛ إضافة إلى تفريقه بين الألف وهي تحتلّ الرتبة الأولى، وهمزة القطع الأخيرة.

ويوجد ترتيب ثالث يُسمّى بالترتيب الصوتي، الذي يقوم على أساس المخارج، وواضعه عند القدامى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو يختلف عن الترتيبين السابقين؛ إذ يقوم على أساس توزيع الحروف بحسب مخارجها، من أقصى الحلق إلى الشفتين. وجاء ترتيبه كالتالي: (ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ف ب

¹ - مكّي درار، المحمل في المباحث الصوتية، ص 81، وينظر، عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص 19.

² - أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 3، ص 18، وينظر: مكّي درار، المحمل في المباحث الصوتية، ص 80.

م و ا ي ء .¹ والمعاجم التي سارت على هذا الترتيب أشهرها كتاب: العين للخليل بن أحمد، وتهذيب اللغة للأزهري، والمحيط للصاحب بن عباد، والمحكم لابن سيده .
وممن رتب معجمه بحسب المخارج؛ لكنه خالف ترتيب الخليل، وارتضى ترتيب سيبويه للحروف (أبو علي القالي) في كتابيه البارع، و المقصور والممدود، وقد جاء ترتيبهما هكذا (أ ه ع ح غ خ ق ك ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و)² فأبى علي القالي، خالف الخليل في ترتيب حروف الحلق، وخالفه في ترتيب المجموعات؛ إذ نقلها من مواضعها التي أنزلها فيها الخليل، دون أن يغير في ترتيب حروف كل مجموعة من المجموعات .

ويوجد ترتيب آخر يجمع بين الصوتي، والهجائي الألفبائي، وهو ترتيب يعتمد الترتيب حسب المخارج؛ لكن مع وضع الحروف المتشابهة في الصورة، متجاوزة وقد أتى على هذا النحو: (أ ه ع ح غ خ ج ق ك س ش ص ض ل ر ن ط ظ ذ د ب ت ث ز ف م و ي)³ فهنا نلاحظ امتزاج الترتيب الصوتي بالهجائي، حيث يبدأ الترتيب بحرف الهجاء المهمزة (أ)؛ بعدها يُواصل بالترتيب الصوتي والهجائي، مع الحفاظ على تشابه الحروف؛ القائم عليه الترتيب الهجائي. وقد سار على هذا الترتيب أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي المعروف بابن القوطية (ت 367هـ) في كتابه الأفعال.

¹ - أحمد عبد الله الباتلي، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، دار الراية الرياض، ط1، 1992، ص19، ولصعوبة هذا الترتيب فقد ضبط بنظم يسر حفظه:

عَنْ حَزْنٍ هَجَرَ خَرِيدَةٍ غَ نَاجَةٍ قَلِي كَوَاهُ جَوَى شَدِيدٍ ضَرَارِ .
صَحِي سَيِّدِيُونَ زَجْرِي طَلَبًا دَهْشِي تَطْلُبُ ظَالِمٍ ذِي نَارِ .
رُغْمًا لِذِي نُصْحِي فُؤَادِي بِالْهَوَى مُتْلَهَبٌ وَدَوِي الْمَلَامِ يُمَارِي .

والترتيب يكون بجمع أوائل كلمات هذه الأبيات مرتبة حسب ورودها فيها.

² - إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1/1997، ص223.

³ - عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي، نظام التقاليد في المعاجم العربية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى السعودية، 1423هـ، ص20 .

والترتيب الأخير، هو الترتيب الذي يجمع بين الترتيب الصوتي والترتيب الألفبائي الذي اتخذهُ أحمد فارس الشدياق في معجمه سرّ الليال في القلب والإبدال؛ حيث رتب الحروف الستة الأولى بحسب المخارج، فذكر فيها أحرف الحلق، وبقية الحروف رتبها بحسب الترتيب الألفبائي المعروف فجاء هكذا: (أ ح خ ع غ ه ب ت ث ج د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ف ق ك ل م ن و ي)¹ فقد اعتمد على الترتيبين مقدماً، ترتيباً صوتياً للحروف متمماً بالألفبائي.

ولأهمية المعجم والدراسات المعجمية، اخترنا أن نقدم تعريفاً بأهم معاجم العربية، في فصول هذا البحث. وقبل الشروع في ذلك، لنا وقفة مع مصطلحات العنوان.

مع المصطلحات

نحاول من خلال هذه اللمحة، البحث عن إسهام الحقل اللغوي المعجمي، في مجال الدراسة الصوتية، وذلك من خلال التعرض لمقدمات بعض المعاجم العربية بالدراسة والتحليل. ومن هذا المنطلق نُعرج لتحليل المصطلحات الأساسية المشكلة لعنوان هذا البحث، وهي: الملامح، والصوتية، والمقدمات، والمعاجم العربية. ويكون بدء الحديث في ذلك، عن المفاهيم اللغوية، والاصطلاحية لكل مصطلح بدءاً بالملامح.

اللامح

يتكون عنوان البحث من أربعة مصطلحات تتطلب التحليل والتوضيح، أولها مصطلح الملامح. الملمح لغة، يعني النظرة الخفيفة السريعة العجلى، ولقد عرّفه صاحب المقاييس (اللام والميم والحاء أصل يدل على لمع الشيء يقال لمح البرق و النجم لمحا إذا لمع)²، معنى هذا، أنّ الملمح يدل على البروز والظهور، وهو ما استدل عليه بلفظة "لمع"، ولما كان الملمح مدركاً بصرياً، كان مناسباً للموضوع، حتى نستخرج كل ماله علاقة بالصوت اللغوي من تعريف لمخارج الحروف وصفاتها، وكل ما يتعلق من تلوينات

¹ - نفسه.

² - أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979، مادة لمح، ج5، ص209.

صوتية مدرجة بمقدمات المعاجم، باعتبارها مدركات بصرية يصادفها كل من يتطلع على مقدمة المعجم العربي. ومن الملمح ننتقل إلى ثاني مصطلح يقوم عليه البحث وهو الصوت.

الصوت

الصوت هو ثاني العناصر المكونة للعنوان، فقد ذهب صاحب المقاييس إلى أن (الصاد والواو والتاء، أصل صحيح وهو الصوت، وهو من جنس لكل ما وقر في أذن السامع)¹ وهو مفهوم عام، لأنه يشمل صوت كل شيء سواء أكان كائناً حياً، أم جماداً يبلغ الأذن يحول فيها ومن خلالها.

وفي المقابل تناول صاحب اللسان، معنى الصوت بقوله: (صات، يصوت، صوتاً، فهو صائت، معناه صائح)² وهو بهذا يخصص المعنى العام للصوت، فيحصره في الجهاز الصوتي مع وجود فرق بين الجهاز الصوتي والنطقي؛ ولقد حاول علماء اللغة منذ القدم التفريق بين هذين المصطلحين؛ لأن الأول عام والثاني خاص. فالجهاز الصوتي (..عام تشترك فيه المخلوقات التي تملك أعضاء حيّة.. وكذلك الآلات الصناعية..)³ فالصوت يصدر عن أعضاء سواء كانت حيّة أم صناعيّة؛ فكل من الإنسان والحيوان كائن حيّ يملك جهازاً صوتياً خاصاً به يصدر منه صوت، حتى الآلات التي هي عبارة عن أجهزة تصدر عنها أصوات؛ بينما النطق فهو خاص، لأنه يصدر عن الفكر الإنسانيّ فحسب؛ فهو (..متميّز بعمل الفكر فيه، أمّا الصوت فلا).⁴ ومفهوم الصوت عند فاندريس "Fandris" هو: (الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء)⁵ حيث كان

¹ - نفسه، مادة صوت، ج3، ص318.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ع2، سط3، مادة صوت، ج2، ص57.

³ - مكّي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية من البرامج الوزارية، ص33.

⁴ - نفسه.

⁵ - فاندريس، اللغة. تع: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلومصرية 1950، ص43.

تعريفه للصّوت من الجانب الفيزيائي، يخص التموجات و الذبذبات الصوتية؛ لأنّ الصّوت قوامه الهواء الذي يلعب دوراً أساسياً أثناء عملية التصويت، وبانعدامه ينعدم الصّوت. فلا يرسل ولا يستقبل؛ لأنّه لم يبلغ الجهاز السمعى، ولم يتم إدراكه له. ومن ثم يعد الصّوت (ظاهرة طبيعية، ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها)¹ لما ينبثق عنه من إدراك لفظ، يتبعه إبلاغ دلالي، للأداء الملقى من قبل مرسل الصوت اللغوي. وللصوت علاقة بعلوم كثيرة، كما تخدمه هي كذلك، فالعلاقة تكاملية. ومنه ننتقل للحديث عن المقدمات.

المَقَدِّمَات

نجد في تركيبة العنوان، مصطلح المقدمة؛ حيث نفرق بين مفهومين ارتبطا بلفظ واحد وهما مقدّمة : (وهي من ثلاثي (ق د م) من الكتاب: الصّفحات الأولى القليلة التي تشرح مضمون الكتاب وموضوعه. وتعرف به. فصل يعقد في أوّله ويبين في الغالب غايته وأقسامه وجوهر محتواه وغير ذلك)² والمصطلح الثاني، مقدّمة وهي الأخرى مشتقة من ثلاثي (ق د م) (من كل شيء: أوّله المقدمة الموسيقية - خصلة شعر في مقدم الرأس - ما يتوقف عليه الشيء - مقدّمة الرّحل: القسم الأمامي منه).³ ومن خلال هذا يتحدّد لنا استخدام مصطلح "مقدّمة" ألا وهو القسم الأوّل من كل معجم؛ وذلك باستخراج جميع ما هو موجود بها، من ملامح صّوتية.

¹ - محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، معجم عربي أعجمي و أعجمي عربي، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1987، ص 126.

² - جبران مسعود، الرائد معجم ألفبائي في اللغة و الأعلام، ع 3، سط 12، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 2005، ص 841.

³ - نفسه، ع 3، سط 15، ص 841.

لقد كانت عادة المتقدمين في تأليفهم لا سيما أهل الحديث والأثر منهم، البدء بالبسملة أو الحمد والثناء على الله، والصلاة على نبيه، ثم يذكرون أبواب وتراجم الكتاب دون أن يذكروا مقدمات طويلة كما هو عادة المتأخرين.

ثم آل الأمر وتطور بعد تعدد العلوم، وكثرة المصطلحات والمفاهيم إلى وضع مقدمات تشرح منهج المؤلف؛ وطريقته في كتابه، وتفسر الكلمات و المصطلحات التي ارتكز عليها، ويكثر ذكرها وورودها، خاصة إذا كانت جديدة من استنباط المؤلف، ولا عهد لأهل العلم بها، فيحتاج المؤلف إلى تفسيرها وتوضيحها وتبيين مراده منها في مقدمته ليسهل الإنتفاع بكتابه.

وقد يذكر المؤلف في هذه المقدمة سبب تأليف معجمه؛ أو الشخص الذي أهدي له الكتاب، أو أُلّف لأجله أو بإشارة منه (...). وتراوح المقدمة قصرا وطولا بين عدة أسطر إلى عدة صفحات، وقد تصل إلى جزء، أو مجلد كامل¹ إذ يرى الكاتب، أن مؤلفه يحتاج إلى مقدمة تبيّن منهجه، و تعين على الاستفادة الكاملة من مصنفه، فيؤلف مقدمة لكتابه، وذلك بحسب حاجته لذلك.

المعجم

يتكون العنوان من آخر مصطلح، وهو المعجم؛ إذ أنّ الخزانة اللغوية العربية، تتوافر على جملة غير قليلة من الكنوز المعرفية؛ وتعدّ المعاجم العربية من أهم هذه الكنوز وأولها ظهوراً؛ حيث حافظت على الثروة اللفظية العربية لمدة ستة عشر قرناً من الزمن، ودور هذه المعاجم (جلي في حماية هذه الثروة اللفظية من الضياع وصيانة التراث الحضاري

1- أبي يعلى البيضاوي، جامع المقدمات العلمية، لمُهم المصنفات الشرعية، ج1، ص3.

بشئ أنواعه.¹ ولولا هذه المعاجم، لضاعت هذه الثروة باعتبار علماء اللغة و مستعمليها لا يستغنون في تخصصاتهم عنها.

والمعجم في مفهومه الاصطلاحي، هو (نوع من الأعمال اللغوية التي قام بها جماعة من العلماء العربية)² فهو كتاب يشتمل على رصيد من المفردات والمدخل المرتبة ترتيباً مقيداً يخضع (... لمنهج ما في الترتيب و التعريف)³ فالمدخل، هو أول ما يصادفه الباحث بمجرد فتحه لصفحة المادة، التي هو بصدد البحث عنها، إذ يبين له المنهج الذي رسمه صاحب المعجم؛ فالمعاجم - إضافة إلى كونها وسيلة لغوية - حرفة وصناعة، هدفها جمع اللغة ووضعها.

غير أنّ الدارس المتخصص في المعاجم العربية أو غيرها، لا يستقيم فهمه ما لم يدرك المعنى الحقيقي للفظه معجم، وما يتصل بها؛ كذلك مصدر تسميتها. ولذلك نقف أولاً عند معنى الجذر (ع ج م) وهو أصل لكلمة معجم. والتي تضم عدة معانٍ لغوية تنضوي تحتها، وهي على النحو التالي: (العجم: ضد العرب، والأعجم: الذي لا يفصح، وامرأة عجماء: بيّنة العجمة، والعجماء: كل صلاة لا يقرأ فيها، و المعجم: حروف الهجاء المقطعة لأنّها أعجمية، عجم التمر: نواه، وتعجيم الكتاب: تنقيطه)⁴ وهذه المعاني هي مجمل ما دارت عليه تعاريف المعاجم اللغوية. ويبقى المعجم هو ذلك الكتاب الذي يحتوي على كلمات مرتبة ترتيباً معيناً، مع شرح لمعانيها، بالإضافة إلى معلومات أخرى ذات علاقة بها سواء، كانت تلك الشروح أم المعلومات باللغة ذاتها أو بلغة أخرى.

¹ - إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، دار الغرب الاسلامي. بيروت-لبنان ط1، 1987، ص 15.

² - حكمة كشلي فواز، كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. دراسة وتحليل ونقد. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1996.

³ - إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، ص 11.

⁴ - حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،

وبعد الحديث عن عنوان البحث، وتحليل المصطلحات المشكلة له؛ أنتقل إلى
فصول هذا البحث بدءاً بالفصل الأول الذي خصصته للحديث، عن المدرسة الصوتية.

تصدير

قام علماء اللغة بجهود معتبرة، من أجل تصنيف المعاجم وضبطها، حيث اعتمدوا مبدأ التحري والاستقصاء. ولعل ما يلفت الانتباه من خلال الدراسات المعجمية، أنّ التأليف المعجمي عند العرب، أرسى قواعده الأولى مع رائد المعجمية العربية؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي ويتجلى هذا الاكتمال، في المنهج والقواعد، وترتيب المواد.

وأشار البعض إلى أهمية جهود القدامى، كما جاء في النص الآتي: (ر ورواد التأليف المعجمي في العربية وضعوا كل قواعد المعجم، ومن جاء بعدهم حتى هذا العصر لم يضيفوا جديدا الى نظام السلف، ولم يبتكروا ترتيبا طريفاً، بل سبقهم أولئك الرواد. ومشى الخلف على نهجهم).¹ ومن المنهج الذي ابتكره القدامى، تباينت المعاجم وتعددت طرائق التصنيف من حيث التبويب والترتيب. وهو الملمح الصوتي المميز لديهم، إذ من خلال هذا التباين والاختلاف تشكلت المدارس المعجمية، واتخذت كل واحدة منها منهجاً خاصاً بها، و عرفت بمدرستين هما: مدرسة المعاني، و مدرسة الألفاظ.

صنفت مدرسة المعاني معاجمها بناءً على المعاني والموضوعات، وهو ما يعرف اليوم بالحقول الدلالية في الدراسات المعجمية²؛ أما مدرسة الألفاظ فتقوم على تراتيب مختلفة، (فمنهم من رتب المعجم على مخارج الحروف كما فعل الخليل بن أحمد

¹ - إسماعيل بن حماد الجوهري، مقدمة الصحاح، ص 27.

² - ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 14، بتصرف.

في معجم العين، ومنهم من رتب على أوائل الحروف كما فعل الشيباني في معجم الجيم، ومنهم من رتب معجمه معتمداً على الحرف الأخير، جاعلاً من الحرف الأخير باباً، ومن الحرف الأول فصلاً، كما فعل الجوهري في معجمه الصحاح¹ فهذه المدرسة، ضمت العديد من الأعمال التي تندرج تحت نمط معين، والملمح الصوتي من هذا، هو شرح الألفاظ وفق ترتيب معين لكن الاختلاف يكمن في نوع هذا الترتيب؛ بحيث توجد عدة ترتيبات منها، الهجائي، والأبجدي، والصوتي. ومن خلال هذا سيتضح لنا المنهج الذي تقوم عليه هذه المدرسة، والذي يبرز من أعمال المعجميين الذين سَيِّمَ ذكرهم؛ في الفصول الآتية.

لقد تفرع عن مدرسة المعاني ومدرسة الألفاظ؛ أربع مدارس معجمية، وهي: المدرسة الصوتية، ومدرسة الموضوعات والمعاني، ومدرسة القافية، ثم المدرسة الهجائية. ولقد كان لكل مدرسة أعلام وأعمال خاصة بهم، حُدِدَ منهج كل مدرسة من خلالها. ممّا سيأتي حديثه.

المدرسة الصَوْتِيَّة

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي، رائد المعجمات العربية الأول؛ لأنه ابتكر طريقة جديدة في ترتيبه للحروف وفقاً لمخارجها الصوتية، انطلاقاً من علمه الواسع بالموسيقى. (رفض الخليل الترتيب الأبجدي الذي اقتبسه العرب عن الفينيقيين وعدد حروفه اثنان وعشرون حرفاً، وأضافوا إليها الروادف التي ينفرد بها العرب عن غيرهم في

¹- مجلة الصوتيات، أبحاث الملتقى المغاربي الأول الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية الأول، ص53.

اللغات السامية الأخرى وهي (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ، ء)¹ فرفض الخليل لهذا الترتيب راجع إلى كونه لا يستند إلى مبدأ معين. وباعتباره عالماً بالموسيقى، واستناداً لذوقه الفني قرر ابتكار ترتيب آخر.

منهج المدرسة الصوتية

حدد الخليل بن أحمد مخارج الحروف وصنفها تبعاً للجهاز النطقي، بدءاً من الحلق وتدرج بذلك وصولاً إلى الشفتين؛ لأن أساس اللغة في نظره النطق وليس الرسم، أما الفم، فهو الأداة التي تكوّن الحروف، وتطلق الأصوات.

بعد أن قام الخليل بدراسة الحروف العربية، قدم تصنيفاً لمعجمه يقوم على ترتيب الحروف، ترتيباً يتناسب مع مخارجها الصوتية، على النحو التالي: ع، ح، هـ في حيز واحد. و، غ، خ في حيز، وكلّها حلقيّة. بعدها ق، ك لهويتان، ج، ش، ض في حيز واحد، ص، س، ز في حيز واحد، ط، د، ت في حيز واحد، ظ، ذ، ث في حيز واحد، ر، ل، ن في حيز واحد، ف، ب، م في حيز واحد، ا، و، ي في حيز واحد، و"ء" في (الهواء لم يكن لها حيز تنسب له)² والجدول التالي يلخص لنا مخارج الحروف، التي جاء بها الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ ولكنّها بتصرف علماء اللغة.

¹ - عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص 85.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج1، ص3.

جدول مخارج الحروف عند الخليل

المخرج	حروفه
الحلقية	أقصى الحلق: ء، هـ؛ <u>وسط الحلق</u> : ع، ح. <u>أدنى الحلق</u> : غ، خ.
اللهوية	ق، ك.
الشجر	ج، ش، ض.
الأسلية	ص، س، ز.
المنطعية	ط، د، ت.
الثلثوية	ظ، ذ، ث.
الذلقية	ر، ل، ن.
الشفوية	ف، ب، م.
الهوائية	و، ا، ي.

تعليق على مكونات الجدول:

نلاحظ من خلال الجدول السابق، أنّ هناك اختلافاً بسيطاً بين ما جاء به الخليل بن أحمد، وبين هذا الترتيب، ف"الهمزة" عند الخليل هوائية؛ ليس لديها مخرج تنسب إليه، بينما نلاحظ في هذا الجدول بأنّ مخرجها هو أقصى الحلق. وباقي

غير النطق؛ تبرز في عملية الأكل، فالأسنان تستعمل على تمزيق الطعام، والأضراس لطحنه، واللسان يساعد على تقليبه، وكلها تساهم في عملية التغذية لدى الإنسان.

وعمل الخليل لم يتوقف عند رصد مخارج الحروف؛ بل قام باستقصاء أبنية الكلام عند العرب، فوجد بأن الكلمة العربية، لا تقل عن حرفين اثنين، ولا تزيد عن خمسة أحرف؛ أما ما زاد عن ذلك فلا علاقة له بأصلها. وفي هذا يقول: (وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنّها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة)¹ فالبناء العربي للصيغة المفردة لا يزيد عن خمسة أحرف، وإلاّ كانت الكلمة دخيلة أجنبية. واعتمد الخليل مبدأ التقاليب، ويقصد به توليد كلمة من كلمة، وذلك بتغيير مواضع حروفها²؛ لاستخلاص المهمل والمستعمل من اللفظ العربي.

وسار على نهج الخليل عدد من العلماء أمثال: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370 هـ) صاحب معجم تهذيب اللغة، وابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321 هـ) في معجمه جمهرة اللغة، وإسماعيل بن القاسم القالي (ت 356 هـ) في معجمه البارع وابن فارس أبو حسن أحمد (ت 395 هـ) في معجمه مقاييس اللغة. وعن المدرسة الصوتية، وأهم المصنّفات المعجمية بها سيكون حديثنا في العنصر الموالي.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد هندائي، ج 1، ص 55.

² - ينظر، سعاد بسناسي، خلاصة التعليل الصوتي للمستعمل والمهمل في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، مقال في مجلة الصوتيات، جامعة سعد دحلب البليدة، أعمال الملتقى المغاربي الأول حول الدراسات الصوتية، وقضايا المعجمية العربية، 2007.

معجم العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي"

إن المفهوم الصوتي الذي اختاره الخليل بن أحمد، ومن تبعه من الأعلام في بناء معاجمهم، قدّم لنا بدايات الدراسة الصوتية، التي أفاد منها اللغويون فيما بعد وإن كانت الدراسات الصوتية قد نشأت قبل الخليل، نتيجة الحاجة التي تتصل بتلاوة القرآن الكريم وتعليمه. فقد مهدّ اللغويون والقراء السبيل لظهور الدراسة الصوتية بفضل ما أدركوه، وما أثاروه من مشكلات تتعلق بنطق بعض الأصوات في آيات القرآن.

لقد أثار القراء وعلماء اللغة، العديد من الملاحظات الصوتية التي (لم تأخذ صورة الدراسة المنتظمة إلا على يد الخليل بن أحمد في كتابه العين ومقدمته)¹ فالخليل بن أحمد، قّعد لعلم الأصوات العربية، وذلك من خلال مقدمة معجمه.

إنّ هذا الأساس، يحتاج إلى دراسة وافية، تقف عند خصائصه وسماته، وأسباب اختياره دون غيره من خلال المقدمة الصوتية في أول كتاب العين. وهو ما سنتعرف عليه من خلال العنصر التالي.

مقدمة كتاب العين

¹ - حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 1988، ص 32.

صدر الخليل¹ كتاب العين بمقدّمة ذات فائدة، اشتملت على مسائل صوتيّة وصرفيّة ولغويّة لا تعد مدخلاً للمعجم فحسب؛ بل مدخلاً لفروع كثيرة من علوم اللغة، ولا عجب أن تكون بهذا القدر من الأهمية؛ فالمقدّمة مما اتفق على أنّها من صنع الخليل.

افتتح الخليل معجمه بتبيين الهدف الأساسي من وضعه له؛ وذلك من خلال عمليّة جمع كلام العرب في كتاب واحد، وحصر مواده؛ إذ يقول: (أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها، فلا يشذ عنه شيء من ذلك)² بحيث ألّف العين بطريقة تُسهّل التعامل مع مواده.

لما تحدّث الخليل عن هدف المعجم، أتى إلى تبين طرائق أخرى، منها كيفية تدوّن الحرف، لمعرفة أبعد الحروف مخرجاً، بقوله: (فدبر ونظر إلى الحروف كلها فذاقها... وإنما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو: اب، ات، اث، اح، اع، اغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق)³ فالخليل طرح فكرة لم يأت بها من سبقه؛ لجأ إليها حتى يحدد أبعد الحروف مخرجاً، في الجهاز النطقي. وهو الملمح الصوتي المسجل في هذه الفقرة، حيث كان ينطق بألف الوصل قبل الحرف الثابت على النحو التالي: اب، ات، اث، وهكذا؛ واستخلص من خلال هذا، أنّ العين هي أبعد الحروف مخرجاً؛ فالخليل كان يعيش جَوّ الأصوات والأنغام، وذلك من خلال قراءة القرآن، والتعامل مع تفعيلات العروض وإيقاعاتها.

¹ - هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وُلد أوائل القرن الثاني الهجري، ومات 174هـ. ينظر: محمد بن حسن بن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتاب الحديث، ص 13.

² - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج 1، ص 34.

³ - نفسه.

فالألفاظ اللغوية، أصوات شبيهة بأنغام الآلة الموسيقية؛ لذلك حين كان يقوم بدراسة للأصوات، يدرسها كما تدرس أنغام الآلة الموسيقية؛ لكن آلة الأصوات اللغوية تختلف عن الآلة الموسيقية؛ (..أما الآلة التي تصدر الأصوات اللغوية فهي ما بين الحنجرة إلى الشفتين من جسم الإنسان)¹ فالخليل اقتصر عمله على، هذا الجزء المسؤول عن صدور الصوت البشري.

ويقدم الخليل بعد هذا؛ ترتيب الحروف صوتياً حسب المخارج بدءاً بأقصاها، وقد جاء هكذا: (ع ح هـ . خ غ - ق ك ج ش ض - ص س ز - ط د ت - ظ ذ ث - ر ل ن - ف ب م - و ا ي - همزة).² "وينتقل الحديث في المقدمة بعد ذلك إلى أبنية كلام العرب، الثنائي والرباعي والخماسي، وأمثلة كل نوع. وهو حديث صرفي يتعرض للأسماء؛ والأفعال والأدوات، بيّن فيه الخليل أنّ أبنية الكلام محصورة بين الثنائي والخماسي.

أما الأسماء التي تتكوّن من حرفين، فإنّ تمامها ومعناها على ثلاثة أحرف، حذف الثالث لسبب من الأسباب مثل: (يد، ودم، وفم)³. ثم تحدّث عن أحرف الدلاقة وأولاها اهتماماً خاصاً، وبيّن صفاتها وخصائصها، وكثرة دوراتها في الكلام؛ بحيث لا تخلو صيغة رباعية أو خماسية في العربية من أحد حروفها، وإلاّ فهي أعجمية دخيلة.

بعد حديثه عن الأسماء التي تتكوّن من حرفين، وعن أحرف الدلاقة؛ وقف الخليل عند توضيح وشرح مخارج الحروف، وأحيازها ومدارجها؛ فذكر أنّ حروف

¹- حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ج1، ص220.

²- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص34.

³- نفسه، ج1، ص36.

العربية تسعة وعشرون حرفاً، خمسة وعشرون حرفاً منها صحيحة لها أحياء ومدارج وأربعة هوائية، وقسم الحروف إلى تسعة مدارج وهي: (حلقية ع ح ه خ غ، وهوية ق ك، وشجرية ج ش ض، وأصلية ص س ز، ونطعية ط د ت، ولثوية ظ ذ ث، وذلقية ر ل ن، وشفوية ف ب م، وهوائية ي و أ والهمزة "ء").¹ فالخليل قام بتوزيع الأصوات على مواقعها (باعتبار جريان الصوت وتوقفه)²، والملمح الصوتي من خلال هذا التصنيف، يتمثل في مقدرة الخليل على تصنيف الأصوات؛ حيث استطاع أن يضع لكل حرف مخرجه الخاص به، بدءاً بأقصى الحلق وصولاً إلى الشفتين. ثم أتبع ذلك بالحديث عن طريقة التقلب، والصور الممكنة عند تقليب الكلمة الثنائية، وأنها تتصرف على وجهين نحو (قد ودق)³، والكلمة الثلاثية على ستة أوجه نحو: (ضرب)، والصور المشتقة منها من خلال عملية التقلب هي: (ضبر، ورضب، وربض، وبضر، وبرض)، يُستعمل بعضها مثل: ضرب، وربض ويلغى أكثرها لأنها مهمة غير مستعملة.

وتأتي الرباعية على أربعة وعشرين وجهاً، والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهاً، يستعمل أقلها ويلغى أكثرها. فاستغلال فكره الرياضي وتوظيفه في مجال اللغة؛ واستخراجه للصيغ المولدة من المفردة الواحدة، يُعدُّ ملمحاً صوتياً أساسياً؛ فهو صاحب فكرة التقلبات، فكان يستخرج أقصى عدد من التقلبات الإفرادية

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص41، 42، بتصرف.

² - مكي دارر، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص39.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص42.

الصَّوتِيَّة الموقَّعِيَّة. ولو تأملنا قضايا هذه المقدمة، لعلمنا أنَّ الخليل كان سبَّاقاً إلى مسائل في علم العربية، جعلت اللغويين يتبعونه، ويتأثرون بتفكيره الصوتي.

مقدمة الخليل الصَّوتِيَّة

بدأ الخليل بن أحمد معجمه "العين" بمقدمة اشتملت قواعد صوتيَّة، بعضها استنبط من اعتماد الترتيب الصَّوتي في المعجم، وبعضها يعد مدخلاً لمن أراد الإفادة من هذا المعجم. ولأهميَّة هذه المقدمة؛ قدَّم بمثلها من جاء بعده، ممن ألَّف معجماً على النظام نفسه، أو على نظام آخر.

وقد يُشَدُّ القارئ حين قراءة مقدمة العين، لتلك القواعد الصوتيَّة العامة التي لا يمكن استخلاصها واستنتاجها، إلَّا بعد استقراء تام (مما يدل على عبقرية الخليل وإبداعه في علوم العربية، حتى ليظنَّ الضان أن هذه المقدمة لم تكتب إلَّا بعد الانتهاء من عمل المعجم)¹ ولو كان الأمر كذلك، لحكمنا بأنَّ العين من صنع الخليل؛ لأنَّ العلماء يكاد يجمعون أنَّ مقدمة العين من صنعه، كما يدل عليه قول الأزهري (ولم أر خلافاً بين اللغويين أنَّ التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد. وأنَّ ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه، ...)² فالأزهري من خلال قوله هذا، يقدِّم شهادة، وهي أنَّ الخليل هو من قام بصناعة معجمه، وبأنَّ اللَّيْث تلميذه هو من تكفل بتكملته وإنجائه.

ولأنَّه ليس ثمة دليل على تأخر المقدمة عن صناعة المعجم؛ فيمكن القول: إنَّ الخليل كتب هذه المقدمة بعد دراسة واعية دقيقة لنظام اللغة وأسرارها؛ لأنَّ (مقدمة

¹ - خالد فهمي، المعاجم الأصولية في العربية، إيتراك للنشر والتوزيع، ط1/2005، ص46.

² - أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والنشر، ج1، ص41.

العين على إيجازها أول مادة في علم الأصوات دلت على أصالة علم الخليل، وأنّه صاحب هذا العلم ورائده الأول¹ "وقد جاء كلامه عن أصوات العربية ومخارجها وصفاتها، في حديثه عن بنية المعجم العربي (ومن خلال الأساس الصوتي سيتبين لنا أن الرجل لم يقدم في كتاب العين دراسة صوتيّة خالصة)."² "وإنّما كان يعالج إشكالية تفسير نظام المعجم العربي، ومحاولة فهم أسرار البنية، المعجمية للكلمة العربية أو التعرف على خصائصها التركيبية من خلال الدرس الصوتي الذي ابتكره. فهدف الخليل، هو حصر مفردات العربيّة في معجم شامل، وهي محاولة لفهم أسرارها، مما مكّنه من استخلاص ملامح صوتية، كانت حجر أساس لعلم الأصوات الذي مكّنه من الوصول إلى هدفه؛ وتعليل لبعض الظواهر الصوتية منها ما سنتعرف عليه في العنصر الموالي.

علاقة الصّوت بالبنية اللغويّة

لم يكن الخليل يهدف إلى دراسة محضة للأصوات معزولة عن البناء اللغوي؛ لأنّه بصدد تقديم لمعجم لغوي شامل. (فقد كان يسعى لمعرفة الخصائص التركيبية لبنية الكلمة العربية، وكان يريد أن يضع يده على الخصائص المميزة لكل صوت من حيث دخوله مع صوت آخر في بنية)³ "وهذا يدل، على أنّه كان يريد أن يستنبط القوانين العامة التي تحكم علاقة هذه الأصوات بعضها ببعض في بنية الكلمة العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يريد ترتيب معجمه ترتيباً صوتياً حسب مخارج الأصوات. ولعل هذا ما جعله ينفرد دون غيره من علماء العربية القدماء بتقسيم الأصوات، طبقاً للأحياز والمدارج، لا طبقاً للمخارج وحدها.

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، مقدمة تحقيق العين، ج 1، ص 10.

² - محمد يوسف حبّص، نظرية الخليل المعجمية، دار الثقافة العربية، 1412هـ/1992، ص 30.

³ - حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص 61.

المسائل الواردة بالمقدمة

يبيّن الخليل عديد من المسائل وأوضحها من خلال مقدمته، وهي تدل على ما سبق؛ ما سمي بالأحرف المذلقة: نسبة إلى ذلق اللسان، والمقصود به (طرف اللسان، أو أسلته، أو منتهاه، أو مستدقه)¹ وهي: ثلاثة تخرج من ذلق اللسان: (الراء واللام والنون، وثلاثة شفوية مخرجها من بين الشفتين وهي الفاء والباء والميم).² فقد بيّن الخليل أن هذه الأحرف لها خاصية مميزة من حيث الوضوح والسهولة في النطق، ويقول في مقدمته: (اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: ر ل ن، ف ب م، وإمّا سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق: إمّا هي بطرف أسلة اللسان والشفيتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية: ر ل ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم. وثلاثة شفوية: ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصة)³ وعند تحليل هذا النص الموجود في المقدمة، يظهر استعمال الخليل لمصطلح الذلاقة من وجهتين؛ إحداهما تدل على الأحرف الثلاثة الراء، واللام، والنون فقط، والثانية تدل على مجموع الأحرف الستة؛ ر، ل، ن، ف، ب، م. كونها متقاربة المخرج.

وليس هناك تعارض بين الاستعمالين كما قد يظهر؛ لأن الأول إمّا هو لتحديد المخرج؛ فالحروف التي تخرج من ذلق اللسان ثلاثة فقط، ولذلك جاء قوله: (منها ثلاثة ذلقية: ر ل ن تخرج من ذلق اللسان... ثلاث شفوية ف ب م مخرجها من بين الشفتين...)⁴ وأما الاستعمال الثاني؛ فهو لبيان صفة هذه الأحرف الستة، وأنها تتسم

1- مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص 53.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج 1، ص 37.

3- نفسه.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي، مقدمة العين، ج 1، ص 37.

بسمه الذلاقة، والملمح الصوتي هو سهولة نطق هذه الأصوات أثناء الكلام. وبهذا يتبين أنّ الخليل كان دقيقاً في اصطلاحاته واستعمالاته لها.

قدّم الخليل وصفاً لأصوات الذلاقة؛ بعد حديثه عن الأصوات ذلّقيّة وشفويّة، بصفات ثلاث وهي: الوضوح، والسهولة، والشيوع؛ فيقول: (فلما ذلّقت الحروف الستة، ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام...) ¹ وهذا يدل على أنّ هذه الحروف منطلقة من غير عناء، واضحة بلا تكلف؛ سهولة نطقاً واستعمالاً. وفي قوله "وسهلت عليه في المنطق" دلالة على سهولة نطقها مقارنة بالأصوات الأخرى. واتصافها بالوضوح والسهولة، يجعلها أكثر الأصوات شيوعاً ودوراناً في الكلام؛ ولذلك قال: (فلما ذلّقت الحروف الستة ... كثرت في أبنية الكلام) ² وبهذا يكون الخليل سباقاً إلى التنبيه، إلى أن أكثر الحروف دوراناً في الكلام بعد حروف العلة؛ هي حروف الذلاقة نظراً لسهولة نطقها.

أثر الذلاقة في أبنية العربيّة

يقرر الخليل أنّ بناء الرباعي والخماسي، لا يخلوان من أحد حروف الذلاقة الستة، وعلة ذلك، أنّ الكلمة إذا طالت ثقلت؛ فاحتاجت حينئذ إلى أن يكون فيها أخف الحروف وأيسرها نطقاً، (فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضه...) ³ وقد تبين مما سبق، أنّ ذلك في حروف الذلاقة. ومما يلاحظ من خلال نص الخليل، أنّه فرّق بين الرباعي والخماسي من جهة أنّ الخماسي لا وجود لأحرف

¹ - نفسه.

² - نفسه.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، مقدمة العين ، ج1، ص 37.

الذلاقة فيه، ولا يستثنى منه لفظ؛ أمّا الرباعي فالأصل اشتراط ذلك فيه، واستثنى الخليل منه نحو عشر كلمات، جئن شواذ قد خلون من أحد أحرف الذلاقة (ويشترط عندئذ أن يقترن بحرفي الطلاقة (العين والقاف) أو بأحدهما فهما يحسنان جرسه ويخفّفانه على اللسان، ويشترط أن يقترن أيضاً بالسين أو الدال أو كليهما، فهما يحسنان جرس الأبنية أيضاً)¹ فحس الخليل الصوتي، وذوقه الفني هو الملمح الصوتي الظاهر من هذه الفكرة، نظراً لتجربته المتواصلة مع الصوت وتعامله معه.

تحديد الخليل لمخارج الحروف

اعتمد الخليل في تحديد مخارج الحروف على تجربة خاصة، كان سباقاً إليها وسّمّاها "ذوق الحرف"؛ وذلك بنطق الحرف ساكناً مسبقاً بهمزة مفتوحة، (وقد اختار سكون الحرف على حركته؛ لأن مخرج الحرف يظهر بصورة جليّة عندما يكون ساكناً)² والملمح الصوتي من هذا الجهد، هو توصل الخليل بهذه التجربة، إلى أنّ كل الحروف يبدأ خروجها من الحلق؛ ولذلك اعتمد في ترتيبها وتسلسلها على البداية بأدخل الحروف في الحلق، ثم تدرّج بالأرفع فالأرفع وصولاً إلى الشفتين مخرج الحروف الشفوية.

وقد أفاد ابن جني من هذه التجربة، وطبقها في كتابه "سر صناعة الإعراب" ونصّ عليها قائلاً: (وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً؛ لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسور من قبله، لأنّ الساكن لا يمكن

¹ - نعمة رحيم العزاوي ، أبو بكر الزبيدي الأندلسي وأثاره في النحو واللغة، مطبعة الآداب 1395هـ، ص 453/454.

² - حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص 15.

الابتداء به، فتقول: اك، اق، اج، وكذلك سائر الحروف¹ وإفادة ابن جني من الخليل يُعدُّ ملمحاً صوتياً يدل على براعة الخليل الصوتية، فتأثر به، ونقل فكره كل من جاء بعده من تلامذته وغيرهم.

ولقد ورد بمقدمة الخليل العديد من القضايا الصوتية، التي تعامل معها بمختلف المصطلحات الصوتية، التي سنتعرف عليها في العنصر الموالي.

المصطلحات الصوتية الخليلية

تحدث الخليل عن مخارج الحروف؛ لتحديد مواضعها في الجهاز النطقي، واستخدم أربعة مصطلحات هي: المبدأ والمقصود بتسميته الموضع؛ والمخرج، والحيز، والمدرج. وسأتي تحديد الفرق بين هذه المصطلحات، بدءاً بالمبدأ.

المبدأ

جاء تعريف المبدأ لغة في لسان العرب، أنّه مشتق من: (ابتدأ أي اخترعها من غير سابق مثال)² معنى هذا، أنّ مبدأ الشيء بداية تكوّنه وصولاً إلى اكتماله، ولقد استُعملَ هذا المصطلح عند الصوتيين للدلالة على (الموضع الذي يبدأ الصوت فيه

¹ - ابن جني، سر صناعة الإعراب تح: حسن هندراوي، دار قلم دمشق، ط1 1405هـ/1985، ج1، ص6.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ع:2، سط:20، ص26.

بالتجَمُّع¹، فهو المكان الذي يحدد فيه الصوت ذاته؛ ليتخذ شكله في موضع حدوثه.

وقد أشار الخليل لمصطلح المبدأ، حين تحدّث عن مخارج الحروف، في قوله: (... فالعين والحاء والحاء والغين حلقيه لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأنّ مبدأها من اللهاة...)² فالمبدأ، هو بداية تكوّن الصوت وتشكله، قبل أن يتخذ مخرجه الخاص به. وعن المخرج، سيكون حديثنا في العنصر الموالي.

المخرج

المخرج هو موضعٌ معيّن من جهاز النطق، ينشأ منه الصّوت ويظهر فيه؛ فمصطلح المخرج يُشير إلى النقطة المحددة للصوت في الجهاز النطقي، التي يتم عندها تعديل وضعه. فالمخرج لغة مشتق (من الفعل خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجاً وَمَخْرَجاً، فيكون المخرج موضع الخروج)³ فهو بهذا، مكان نشوء الشيء وتكوّنه. وأورد الخليل مصطلح المخرج من خلال تحديده لمخارج الحروف، من مثل قوله: (ر ل ن تخرج من ذلق اللسان... ثلاث شفوية ف ب م مخرجها من بين الشفتين...)⁴ فيفهم من خلال قول الخليل، أنّ المخرج هو موضع خاص بكل حرف مستقل عن غيره، حين نطقه. وذهب بعض الباحثين إلى أنّ مخرج الحرف (هو الموضع الذي يحدث فيه

¹- مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية، ص40.

²- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص41.

³- ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص249.

⁴- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص37.

الصوت وينطلق منه اتجاه السامع).¹ ومعنى هذا أنّ لكل صوت مخرجاً خاصاً به؛ ونجد مصطلحاً آخر يلتقي مع المخرج وهو المدرج.

المدرج

جاء الخليل بمصطلحات مختلفة؛ تكاد تتقارب وتتشابه فيما بينها، لم يقم بتحديد ماهية كل واحدة بمفردها، وإنما أوردتها متداخلة فيما بينها أثناء وصفه للحروف. وكلمة المدرج واحدة منها؛ والمقصود به هو: (الموضع الذي تتحرك منه مجموعة من الأصوات المتقاربة)² فيقصد بالمدرج تتابع الأصوات في حدوثها؛ فصدور الصوت الثاني، يبدأ عند موضع توقّف الصّوت الأول، ويكون بين مجموعة الأصوات المتقاربة؛ بحيث تحقق هذه الأصوات نوعاً من التتابع والتتالي فيما بينها. و جاء الخليل بمصطلح آخر هو الحيز، وسنعرّفه في العنصر الموالي.

الحيز

يتداخل مفهوم الحيز عند الخليل مع المصطلحات السابقة؛ وهي: المبدأ، والمخرج، والمدرج. ولم يخصّ كل مصطلح منها بتعريف خاص، ويعرّف الحيز أنّه: (موضع اجتماع العائلة الصوتية، وانتسابها إليه)³ معنى هذا، أنّ لكل حرف مخرجه الخاص؛ فلحرف العين، والحاء، والهاء ثلاثة مخارج؛ لكنّها كلّها في حيز واحد وهو الحلق. فالحيز يشمل على عدّة مخارج.

1 - مكّي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 39.

2 - نفسه، ص 41.

3 - نفسه، ص 39.

ولم ترد هذه المصطلحات عند تلميذ الخليل وناقل علمه سيبويه، ويبدو أنّها قد نشأت دفعة واحدة، إذ لا نجد منها في كلامه سوى ما يسميه (بحروف (الذلاقة...) ¹والذي يظهر صحة نسبة هذه المصطلحات إلى الخليل، لما تقرر فيما سبق أنّ مقدمة العين من صنع الخليل.

وحين النظر في نص المقدمة، يظهر تفريق الخليل بين المصطلحات الأربعة: المبدأ، والمخرج، والمدرج، والحيز بقوله: (... قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومدارج، ... فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء - وقال مرة (ههة) - لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف من حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ... فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقيه لأن مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان، لأنّ مبدأها من اللهاة، والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم... فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه ²"فالحيز عند الخليل أشمل وأوسع من المخرج، فالمخرج (هو الموضع الذي يحدث فيه الاعتراض لمجرى الهواء الخارج من الرئتين، ويعتمد في تحديده على معيار الأرفع فالأرفع، وحيز الصوت: أي الفراغ الذي يشغله عدد من الأصوات في الحلق والفم) ³"فمن الأصوات ما ينطبق حيزها على مخرجها لا تستطيل بعده؛ ولذلك يعدها الخليل في حيز واحد مثل: (الصاد، والسين، والزاي) في حيز وهو الأسئلة، و(الطاء والتاء والدال) في حيز النّطع. ومنها من يجمع فيه

¹ - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1987، ص 106/107.

² - العين، ج 1، ص 41-42.

³ - حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص 36.

الحيز أكثر من مخرج كاللام، والراء، والنون؛ فإنّ لكل حرف منها مخرجاً مستقلاًّ ويجمعها حيز واحد.

علماء بعد الخليل

تعرض العديد بعض علماء اللغة، إلى قضية الصوت ومخرجه، وقد أشار إلى ذلك ابن يعيش في (شرح المفصل) حينما فسّر كلام سيبويه في مخرج الحروف فقال: (واللام والنون والراء من حيز واحد ، وبعضها أرفع من بعض فاللام من حافة اللسان من آخرها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والنايب والرباعيّة والثنيّة، ومن خلف اللسان بينه وبين ما فوق الشايات مخرج النون ومن مخرجه غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء وهي ذلّقية)¹ ويتضح الفرق أكثر، عند من يرى أنّ لكل حرف مخرجاً مستقلاًّ يخالف الآخر كابن الحاجب وغيره. أمّا مدرجة الصوت فلعلّها أوسع من الحيز، لأنّها قد تجمع أكثر من حيز وتعتمد على الموضع الذي يبدأ منه الصوت، ويؤكد هذا قول الخليل: (فالعين والحاء والهاء والحاء والغين حلّقية، لأنّ مبدأها من الحلق....فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه)² فقد جمع الخليل، أكثر من حيز في مدرجة الحلق فالعين، والحاء، والهاء عنده من حيز واحد، والحاء، والغين من حيز آخر يجمعها كلّها أنّها تبدأ من الحلق.

ولأهمية فهم هذه المصطلحات هناك من يرى أنّ ذكر الخليل للأحياز والمدرجات وعلاقتها ببناء المعجم لها فائدة، حيث أنّ الخليل (..اهتم الخليل بالأحياز والمدرجات دون علماء الأصوات جميعاً، لأنّ تحديد الحيز والمدرج ضروري لفهم طبيعة التأليف في

¹ - موفق الدين ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج 10، ص 125.

² - الخليل بن أحمد، العين، ج 1، ص 41.

بنية الكلمة العربية، أي أنّ تصنيف الخليل لأصوات العربية تصنيفاً علمياً نظرياً لم يكن هدف الخليل الأول، وإمّا كان هدفه معرفة خصائص البناء الصوتي للكلمة العربية لكي يميّز بين المستعمل والمهمّل وبين الأصيل والدخيل من الكلمات في العربية¹ ومن ثم كان هذا التصنيف طبقاً للمخارج، والأحياز، والمدارج، وأحكم في معرفة طبيعة العلاقة بين الأصوات في الكلمة المفردة، من حيث تقارب هذه الأصوات أو تباعدها ولناخذ مثلاً على ذلك أصوات الجيم، والشين، والياء، والضاد، فسجد أن الجيم، والشين، والياء من مخرج واحد عند سيبويه، في حين أنّ الضاد لها مخرج مستقل عنده، و نجد أصوات الجيم، والشين، والضاد عند الخليل في حيّز واحد؛ ولذلك لاحظ الخليل وكثير من علماء العربية من بعده، أنّ هذه الأصوات لا تتألف في كلمة واحدة، في حين أنّه يجوز أن تتألف الكلمة في العربية من الجيم، والشين، والياء كما في كلمة "جيش" والفعل "يَشُجُّ".

وجاء بعد الخليل عدد من العلماء، تأثّروا بطريقته وفكرته التي جاء بها لبناء معجمه؛ ومن بين هؤلاء: نجد أبو علي بن القاسم القالي من خلال معجمه البارع؛ لذلك سيكون لنا وقفة مع هذا العَلَمِ وَعَمَلِهِ.

"معجم البارع" لأبي علي القالي

¹ - حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي، ص 134/133.

ألّف أبو علي بن القاسم القالي البغدادي الأندلسي¹ (ت 352 هـ) معجماً جامعاً لمواد لغة العرب سمّاه (البارع في اللغة) واستغرق تأليفه ستة عشرة سنة بين عامي (339 هـ و 355 هـ) ويقول القفطي: (وشوهد بخط ولده ما مثاله ابتداء أبي - رحمه الله - بعمل كتاب البارع في رجب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، ثم قطعتة علل وأشغال، ثم عاود النظر فيه بأمر أمير المؤمنين وتأكيده عليه، فعمل فيه من سنة تسع وأربعين وثلثمائة، فأخذه يجد واجتهاد وكمل له وابتداء بنقله فكمل لنفسه إلى شوال سنة خمس وخمسين وثلثمائة كتاب الهمز، وكتاب الهاء وكتاب العين ثم اعتلّ في هذا الشهر²) وتأليفه هذا المعجم، كان نتيجة مجموعة من الأسباب والأهداف، مما سيأتي حديثه والتوقف عنده.

تأليف البارع أسبابه وأهدافه

سعى القالي لتأليف معجمه (البارع) لسد فراغ في المكتبة المعجمية بالأندلس (وكان أول من يحسّه وهو يقوم بمهمة التدريس)³ وربما أراد أن يتيح الفرصة للأندلس للإسهام في حركة المعاجم التي ظهرت في المشرق. بالإضافة إلى أنّه كان يرمي في معجمه إلى معالجة وتفادي النقائص التي رآها في كتاب العين، ومعجم أستاذه ابن دريد.

¹ - هو أبو علي بن القاسم القالي (280-356هـ)، لغوي بارع، له العديد من المؤلفات منها: الأمالي، البارع في اللغة، المقصور والممدود وغيرها من المؤلفات الأخرى. ينظر: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، (ت356هـ)، الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

² - أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ط، 1، 1406هـ/ 1986، ج1، ص244.

³ - حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1، ص246.

والأمر الثاني هو أنّ الخليفة الناصر، أمر القالي أو أشار عليه بهذا التأليف، ويؤيد هذا ما نقله القفطي من قول ابن أبي علي، الذي ذكر فيه أنّ الخليفة أمر أباه بإكمال الكتاب لما توقف عن ذلك. فقد يكون هو الذي أشار عليه ابتداءه، وهو الذي أمره بإتمامه¹.

منهج البارع وترتيبه

قد يكون الحديث عن منهج البارع غير تام، لنقص ما وجد منه وفقدان مقدمته، ولم يأت مما وجد منه حرف تام بجميع أبوابه: من ثنائي، وثلاثي، ورباعي، صحيح، ومعتل، ولفيف بنوعيه المفروق والمقرون؛ ولذلك سيكون الحديث عن المنهج مبنياً على ما وجد من أبواب؛ حيث اعتمد أبو علي في منهجه العام على الأسس التي اعتمدها صاحب العين وهي: الأساس الصوتي، وأساس الأبنية، وأساس التقلبات، والأساس الصرفي.

يتمثل الأساس الصوتي، في ترتيب القالي لمادّة معجمه حسب المخارج؛ غير أنّ ترتيبه مخالف لترتيب الخليل، (وقد افترض المستشرق voltoun "فلتون" في مقدمة القطعة التي نشرها بطريقة التصوير، أنّ ترتيب الحروف في البارع يكون على هذا النحو: ه ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و ا ي).² وبالمقارنة يختلف ترتيب الخليل عن القالي لمخارج الحروف؛ إذ أنّ الخليل ابتداءً ترتيبه بحرف العين باعتباره أحد حروف أقصى الحلق وأنصعها؛ بينما القالي بدأ

¹ - ينظر: أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص11.

² - عبد العلي الودغيري، أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، صندوق إحياء

التراث الإسلامي، 1403هـ/ 1983، ص 279.

بصوت الهاء واعتبره من أقصى الحروف مخرجاً، وهو الملمح الصوتي المستخلص من منهجه، ويمكن رصد الاختلاف بينهما كما يلي:

1- وَضَعَ الخليل الحاء بين الهاء والعين، وهي عند القالي بين العين والغين المعجمة.

2- وَضَعَ الخليل الحاء المعجمة بين العين والغين، وهي عند القالي بين الغين والقاف.

3- وَضَعَ الخليل الألف بعد الواو، وهي عند القالي لا حيز لها.

4- وأخيراً وَضَعَ الخليل الياء المثناة آخر الترتيب بعد الواو والألف، مثلما فعل الخليل، وهي موضوعة عند القالي وسيبويه بين الشين واللام.

أمّا عن حرف الهمزة؛ فقد ذُكر أنّ ترتيب البارع كترتيب كتاب المقصور والممدود (إذ من المستبعد أن يتخذ أبو علي ترتيباً في البارع يختلف عن ترتيب كتاب المقصور)¹ وذلك بأنّ ترتيب الأحرف الثلاثة الأولى من كتاب البارع وهي الهمزة والهاء والعين، موافقة لترتيب كتاب المقصور.

أول ما يطالعنا في معجم "البارع في اللغة" لأبي علي القالي، مقولة محققه، وهي قول المحقق: (ولكنني بعد أن حققت النص؛ وقعت على حقيقة طريفة جديدة بالإعلان، هي أن البارع ما هو إلا كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. ² "ولكن رغم هذا الوصف إلا أن "البارع"، وإن وافق العين في مخرج بعض

¹ - عبد العلي الود غيري، أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، ص 281.

² - أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، البارع في اللغة، تح: هاشم الطعان، دار الحضارة العربية بيروت، ط1، 1975، ص 568.

الأصوات اللغوية؛ إلا أنه خالفه في ترتيب بعض المخارج، كما خالفه في ترتيب الأصوات اللغوية في مخرجها الواحد.

رتب القالي أصوات العربية على النحو الآتي: (هـ، ح، ع، خ، غ)، (ق، ك)، (ض، ج، ش)، (ل، ر، ن)، (ط، د، ت)، (ص، ز، س)، (ظ، ذ، ث)، (ف، ب، م)، (و، ا، ي)¹. وإذا قابلنا ترتيب القالي بترتيب الخليل (ع ح هـ خ غ - ق ك ج ش ض - ص س ز - ط د ت - ظ ذ ث - ر ل ن - ف ب م - و ا ي - همزة) أمكننا استخلاص الاختلاف بينهما من وجهتين: الأولى اختلافهما في ترتيب المخارج النطقية، والثانية اختلافهما في ترتيب أصوات المخرج الواحد، والجدول الآتي يوضح هذا:

جدول مقارنة مخارج الحروف عند الخليل والقالي

المخرج	الخليل (العين)	القالي (البارع)	المخرج	الخليل (العين)	القالي (البارع)
الأول	الحلقية: ع، ح، هـ، خ، غ.	الحلقية: هـ، ح، ع، خ، غ.	الخامس	نطعية: ط، د، ت.	نطعية: ط، د، ت.
الثاني	اللهوية: ق، ك	اللهوية: ق، ك	السادس	الثوية: ظ، ذ، ث.	الأسلية: ص، ز، س.
الثالث	الشجرية: ج، ش، ض.	الشجرية: ض، ج، ش.	السابع	الذلقية: ر، ل، ن.	الثوية: ظ، ذ، ث.
الرابع	الأسلية: ص، س، ز.	الذلقية: ل، ر، ن.	الثامن	الشفوية: ف، ب، م.	الشفوية: ف، ب، م.

تعليق على الجدول:

من خلال مكّونات هذا الجدول، اتفاق الخليل والقالي في أن المخرج الأول للأصوات اللغوية هو الحلق الذي تنسب إليه الأصوات الحلقية، كما يتفقان في ترتيب صوتي الحاء والغين؛ ولكنهما يختلفان في ترتيب هذه الأصوات من وجهتين: إحداهما، أدخل الأصوات عند الخليل العين، وعند القالي الهاء. والثانية، الحاء عند الخليل قبل الهاء، وعند القالي بعدها.

ويبدو القالي أقرب إلى ما يثبته علم الأصوات الحديث؛ في ترتيب هذه الأصوات، (فالحاء صوت مخرجه الحنجرة، وهو بذلك أعمق مدخلاً من بقية أصوات هذه المجموعة)¹ هذا عن صوت الهاء بهذه المجموعة، أما رتبة الحاء والعين؛ فإن ما يقرره علم الأصوات الحديث أنهما صوتان حلقيان (احتكاكيان من مخرج واحد لا فرق بينهما سوى في الجهر والهمس)² كما يلحظ اختلافهما في صوت (الضاد)، الذي جعله القالي قبل الأصوات الشجرية (ج، ش) وجعله الخليل بعدهما؛ ولكن الجيم إذا كان طبقياً، فإنه يسبق الضاد مخرجاً.

ويختلف الخليل والقالي في تحديد المخرج الرابع، الذي عدّه الخليل مخرج الأصوات الأسلية (ص، س، ز) وعده القالي مخرج الأصوات الذلقية (ل، ر، ن)، ولا يخفى أن الأصوات التي وسمها القالي بالذلقية، أدخل مخرجاً من الأصوات الأسلية؛ إذ توصف (ل، ر، ن) بأنها أصوات لثوية، و(ص، س، ز) بأنها أصوات أسلية، ولذلك كانت قبلها. كما نلاحظ الاختلاف بينهما في تحديد مخرج الراء واللام؛ فقد رتب الخليل الراء قبل اللام، وكانت عند القالي بعد اللام.

¹ - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995، ص 89، 90.

² - نفسه، ص 90.

وثمة ملاحظة أخرى في ترتيب الخليل نفسه، وهي أن الأصوات الأسلية (ص، س، ز) لا تسبق الأصوات النطعية (ط، د، ت) بل تليها؛ وبذلك تتضح دقة ما ذكره القالي في رتبة المخرج أولاً، ورتبة أصواته ثانياً.

وإذا كان الخليل يعدّ المخرج السادس، خاصاً بالأصوات الثنوية (ظ، ذ، ث)، فإن القالي جعل المخرج السادس للأصوات الأسلية (ص، ز، س). وما يثبت علم الأصوات الحديث أن (ص، ز، س) أعمق مخرجاً من (ظ، ذ، ث)، إذ توصف المجموعة الأولى بالأصوات الأسنانية، وتوصف الثانية بالأصوات بين الأسنانية.¹ فالمجموعة الأولى تنشأ داخل الفراغ الموجود بين الأسنان، بينما تحصل المجموعة الثانية باستقرار طرف اللسان؛ بين الثنايا العلوية والسفلية للأسنان.

أما ترتيب الأصوات الأسلية؛ فجاءت عند الخليل (ص، س، ز)، أما عند القالي فهي على النحو التالي (ص، ز، س) ورغم اختلافها في الترتيب، إلا أن ما يقرره علم الأصوات الحديث؛ هو أن هذه الأصوات ذات مخرج واحد، ولا فرق بينها إلا في الجهر والهمس (السين والصاد مهموسان، والزاي مجهور) أو الإطباق والانفتاح (السين والزاي منفتحان والصاد مطبق).

ويمكننا القول إنَّ القالي رتب الأصوات الأمامية كالاتي: الذلّقية، والنطّعية، والأسلية. في حين رتبها الخليل بتقديم الأسليّة، وتأخير الذلّقيّة كالاتي: الأسلية، والنطّعية، والذلّقية. ويبدو أن ترتيب القالي (أكثر دقة في تتبع رتبة هذه المخارج، ولاسيما أن القالي يتفق مع سيبويه في هذا الترتيب المخرجي)² وعلى هذا فإنّ ما

¹ - ينظر، يسرى عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، دار الجيل بيروت، ط1، 1991، ص127.

² - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص75.

جاء في مقدمة معجم (البارع في اللغة) من وصف لمخارج الأصوات اللغوية، يعدّ دراسة دقيقة؛ تتفق مع ما توصل إليه علم الأصوات الحديث في مسائل كثيرة.

البنية اللغوية عند القالي

قسّم القالي الأبواب بحسب الأبنية على النحو التالي: الثنائي وسماه (الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة لتشدّد أحد حرفيه)¹ ومن هذه التسمية يتبين أنّه أراد به ما سمّي بمضاعف الثلاثي نحو (جرّ وجدّ). والقسم الثاني هو الثلاثي الصحيح، وهو باب مستقيم لا اضطراب فيه؛ إذ لم يشتمل على الثلاثي الصحيح.

الثلاثي المعتل، يوافق فيه صاحب العين؛ غير أنّه لم يدخل فيه المهموز؛ بل أفرد له باباً خاصاً في أوّل المعجم. ثم قسّم الحواشي، وقد جاء بابها بعد باب الثلاثي المعتل من حرف الهاء، وهو الحرف الثاني في الترتيب، والأول مما وجد من البارع. وقال عنه: (هذه أبواب تتصل بالثلاثي المعتل مما جاء على حرفين أحدهما معتل أو ثلاثة منها حرفان معتلان، وسميناه باب الحواشي)² ولما فرغ منه قال (انتهى المعتل وما اتصل به)³ وهذا الباب يقابل في كتاب العين أبواب اللفيف.

وورد (باب الأوشاب) في حرف الغين والقاف، بعد الباب الثلاثي المعتل وقال عنه: (وإمّا سميناه أوشاباً لأنّا جمعنا فيه الحكايات والزجر والأصوات والمنقوصات، وما اعتل عينه ولامه، أو فائؤه ولامه، أو فائؤه وعينه أو كان فائؤه ولامه، أو فائؤه وعينه أو لامه وعينه بلفظ واحد)⁴ وخصّص القالي هذا الباب؛ للحديث عن الصيغ التي

¹ - أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، البارع في اللغة، ج1، ص 568.

² - نفسه، ج1، ص 170.

³ - نفسه، ج1، ص 175.

⁴ - نفسه، ج1، ص 446.

جاءت محاكاة للأصوات والمعتلات، وتقديم تعليقات صوتية لها، وسمّاها بالأوشاب لأنها شاذة، قليلة الاستعمال في الكلام.

ولم يورد باب الحواشي لاتحاد مضمونها في الجملة، (إلاّ أنّه أدخل في الأوشاب ألفاظاً من مضاعف الرباعي؛ كالغططة ولعله صنع ذلك لأنها حكايات لأصوات)¹ والذي يظهر أنّ أبا عليّ سمّى هذا الباب في بداية الأمر (باب الأوشاب) وأدخل فيه اللفيف والحكايات، والأصوات، وبعض المعتلات وغيرها، ثمّ لما أعاد النظر في الكتاب قبل موته، سمّاها (باب الحواشي) واقتصر فيه على اللفيف؛ فهذا يدلّ على أنّه لما أعاد الكتابة جاء إلى باب الأوشاب، ففرق مادته وأعادها إلى أبوابها التي تدخل فيها، وأبقى على اللفيف فقط، وجعله في باب متصل بباب المعتل، وسمّاها باب الحواشي.

وبتتبع منهج القالي وطريقته، يتبين أنّه سار على نهج العين وخالفه في بعض الأمور الآتية والمتمثلة في ترتيب الحروف؛ إذ سار على ترتيب سيبويه. كما أنّه استبدل أبواب الحواشي والأوشاب باللفيف. وفصل المهموز عن المعتل، وذلك أنّه جعل باباً للهمز في أول المعجم، وحين أتى إلى أبواب المعتل ضمن الحروف الأخرى، لم يذكر الألفاظ المهموزة. ثمّ قام بإدخال بعض مضاعف الرباعي في أبواب الرباعي مرة؛ وفي الأوشاب مرة أخرى، ولا نجد هذا في باب الهاء الذي خضع للتنقيح وإعادة النظر. ومن معجم البارع، ننتقل لآخر معجم ينتمي إلى هذه المدرسة، وهو معجم التهذيب للأزهري، لنستخلص منه ما ورد في مقدمته، من ملامح صوتية في العنصر الموالي.

¹ - جلال الدين السوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص90.

معجم "تهذيب اللغة" للأزهري¹

ألف الأزهري معجمه وهو في السبعين من عمره، كما يفهم من المقدمة التي يقول فيها: (وكنت منذ تعاطيت هذا الفن في حديثي إلى أن بلغت السبعين، مولعاً بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها، وأخذها من مضانها، وإحكام الكتب التي تأتي لي سماعها من أهل الثبوت والأمانة للأئمة المشتهرين وأهل العربية المعروفين.

تسمية التهذيب ودوافع تأليفه

تحدث الأزهري في مقدمة التهذيب، عن الدواعي التي أدت به إلى تأليف هذا المعجم، وعن سبب تسميته بهذا الاسم وفي هذا يقول: (وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة، لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالتها الأغبياء عن صيغتها وغيّرها الغُثم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب).² وبحسب قوله هذا، فإنّ ما ساعده على تحقيق هدفه في تأليف كتابه ثلاثة أمور، هي: سماعه لما تحدث به

¹ - هو الإمام أبي منصور بن أحمد الأزهري (ت 380 هـ)، صاحب معجم "تهذيب اللغة"، وهو كتاب ذو قيمة رفيعة لا يمكن معرفتها إلّا عند من كانت صلته قوية بالمعجم. ألف الأزهري معجمه وهو في السبعين من عمره، كما يفهم من المقدمة التي يقول فيها: (وكنت منذ تعاطيت هذا الفن في حديثي إلى أن بلغت السبعين، مولعاً بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها، وأخذها من مضانها، وإحكام الكتب التي تأتي لي سماعها من أهل الثبوت والأمانة للأئمة المشتهرين وأهل العربية المعروفين.)

² - أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج 1، ص 54.

العرب الفصحاء، وما تحقق من الرواية عن الموثوق بهم، والأخذ مما خلف العلماء من كتب خطت بأيدي ثقة.

أمّا دوافع التأليف، فقد قال عنها الأزهرى مايلي: (وقد دعاني إلى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها، التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها خلال ثلاث: منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم،... ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في إفادتهم ما لعلمهم يحتاجون إليه.....والخلة الثالثة هي لها أكثر القصد: أني قرأت كتباً تصدى مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها، مثل كتاب العين المنسوب إلى الخليل. ثم كتب من احتذى حذوه في عصرنا هذا. وقد أخلّ بها ما أنا ذاكره من دخلها وعوارها بعقب ذكرى الأئمة المتقنين وعلماء اللغة المأمونين...) ¹. فعلى عادة العرب الرواة؛ لما أراد الأزهرى تأليف معجمه، قام باستقصاء كلام العرب، وتوثيقه بمختلف أدلة الاستشهاد وذلك عبر مراحل ثلاث مهدت له تأليف معجمه وهي كما ذكرها بمقدمته: تدوين كل ما تم له سماعه مباشرة من أفواه العرب الذين صادفهم، والثانية تقديم الصحيح من الألفاظ لأهل العلم والتفسير حتى لا يقعوا في خطأ التفسير والشرح؛ أمّا الخلة الأخيرة والتي كان من ورائها قصد التأليف هو إطلاعه على ما سبقه من معاجم ألفت قبل عصره، واستخلاصه لعيوبها. ولذلك أمكننا استخلاص بعض المميزات المعجم من خلال العنصر الموالي.

¹ - أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ج 1، ص 6-7.

مميزات التهذيب

يعدُّ تهذيب اللغة من المعاجم الموسوعة المتقدّمة، وقد لقي عند اللغويين قبولا حسناً، وإثماً حصل له هذا القبول لاجتماع عدّة مميزات فيه، ومن أهمها: تعدّد المصادر التي اعتمدها في تأليفه، فمن يطالع مقدمته يجد أنّه خصّ باباً لذكر الأئمة الذين اعتمد عليهم فيما جمعه من ألفاظ وتفسيرات، ذكر فيه مشاهير اللغويين والنحويين ممن سبقه أو عاصره، كما أنّه ضمّن معجمه ما رواه عن العرب وسمعه منهم. كما كان (اهتمامه بنسبة الأقوال لأصحابها، والآراء)¹ إذ يحرص على ذكر سنده في الرواية عن المتقدمين.

بالإضافة إلى عنايته الكبيرة بالشواهد، فقلّ ما نجد مادة خلت من شاهد، آية أو حديث أو بيت شعري، وهو يشترك مع المعجمين في كثرة الاستشهاد بالأبيات الشعرية؛ لكنه تميّز بذكر الشواهد الحديثة، والقراءات القرآنية والإكثار منها؛ ولعل ذلك جاء نتيجة اشتغاله بعلوم الشريعة إلى جانب علوم العربية. ويتبع ذلك اهتماماً بمسائل فقهية، وعقدية، وحديثية. إضافة إلى بروز شخصيته، (...) و ظهور أثره في كل مادة فيتدخل في النقاش² ويتأكد من صحة الألفاظ، وما رواه فلم يثق به، أشار إليه، فقد قال عن قول رواه عن النضر: (لم يروه لي ثقة أعتمده، ولم أسمعه لغيره)³ ويتضح دوره في الترجيح بين الأقوال، ورد بعضها، وإظهار معان لم ترد عن غيره، واستدراك ما فات على من سبقه، إلى غير ذلك من الأمور. عنايته بذكر البلدان، والمواضع، والأمكنة عناية كبيرة، جعلت معجمه من أهمّ المصادر التي تهتم بذكر مثل هذه المواضيع.

¹ - إبراهيم نجا، المعاجم اللغوية ص 47.

² - ينظر، نفسه، ص 48.

³ - أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج 1، ص 412.

مقدمة التهذيب

صدر الأزهرى معجمه بمقدمة قيّمة مطولة، تناولت القضايا التالية: بيّن منزلة لغة العرب، ونزول القرآن بها على قوم فهموا معانيه، وعرفوا وجوه خطابه، لا يحتاجون في ذلك إلى تعلّم كما احتاجه من بعدهم، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ما أجمل فيه؛ ولذلك يوجد الاجتهاد في تعلّم ما يتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنة المبينة لحمل التنزيل، لتنتفي الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد. بعد هذا، قدم حديثاً عن الدواعي والدوافع التي قادته إلى جمع هذا الكتاب الكبير¹.

وعقد باباً ذكر فيه الأئمة الذين كان اعتماده عليهم فيما جمعه من ألفاظ وتفسيرات²، وقسمهم إلى أربع طبقات. كما نبّه إلى أنّه لم يودع شيئاً في كتابه إلاّ ما استوثق منه؛ فقال: (ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلاّ ما صحّ لي سماعاً منهم، أو رواية عن ثقة، أو حكاية عن خطّ ذي معرفة ثاقبة)³ فهو بهذا حاول انتقاء السليم والصحيح من كلام العرب، مبتعداً عن أيّ دخيل أو معرّب في معجمه؛ لذلك جاء اعتماده على ما صحّ روايته من كلام العرب.

ثم نقل مقدمة العين، بتمامها بعد أن قال: (ولم أجد خلافاً بين اللغويين أنّ التأسيس المجلّ في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد أن تلقّفه إياه عن فيه. وعلمت أنّ لا يتقدم أحد الخليل فيما

¹- ينظر: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ج1، ص40 بتصرف.

²- ينظر، نفسه، ج1، ص22.

³- نفسه، ج1، ص40. وينظر، حمدي عبد الفتاح السيد بدران، النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهرى،

إشر: محمد حسن حسن جبل، رسالة مقدمة درجة ماجستير، جامعة الأزهر الشريف، 1999، ص8.

أسسه ورسمه، فرأيت أن أحكيه بعينه لتأمله وتردّد فكره فيه، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه).¹ فالأزهري، لم يضيف شيئاً لما قدم الخليل؛ إنّما أعاد مقدمة الخليل بكاملها. فقسّم حديثه عن الأصوات العربيّة إلى قسمين: الأول خصّصه لألقاب الحروف ومدارجها؛ والثاني لأحياز الحروف. والتي سيكون الحديث عنها فيما هو آت.

باب ألقاب الحروف

افتتح الأزهري باب ألقاب الحروف بقوله: (اعلم أنّ الحروف الذّلق والشفوية ستة: ر ل ن ف ب م...) ² فهو بهذا يحدد الحروف الذلقية، والشفوية بصفة عامة؛ بعدها يحدد الحروف الذلقية، ومفهوم الدلاقة؛ وذلك بقوله: (.. فالراء واللام والنون سميت ذلقاً؛ لأن الدلاقة... هي بطرف اللسان) ³ فالأزهري حدد الحروف ومخرجها، بطرف اللسان؛ ومعنى هذا أنّ الذلق طرف اللسان، أو حده ونهايته؛ وهو على حد قول الأزهري مخرج حروف: (ر، ل، ن) التي يعمل اللسان في عملية نطقها. أمّا الذلق في المفهوم اللغوي فهو: (الطرف الأمامي المستدق من اللسان...) ⁴ وهذا المفهوم؛ هو ما أجمعت عليه جميع الدراسات المعاصرة. وهو لا يخرج عمّا جاء به الأزهري.

وقد أشار الأزهري إلى مصطلح " الحروف الشفوية"، بقوله: (.. وسميت الفاء والباء والميم شفوية؛ لأنّ مخرجها بين الشفتين، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف

¹- أبي منصور بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص41.

²- نفسه، ج1، ص57.

³- نفسه.

⁴- محمد علي حولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1986، ص69.

إلاّ في هذه الثلاثة الأحرف¹ فالأزهري أشار إلى مخرج آخر وهو الشفتان؛ اللتان لا تعملان إلاّ في هذه الحروف الثلاثة وهي: الفاء، والباء، والميم.

أمّا عن المفهوم اللغويّ لمصطلح "الشفوي" فهو (... صوت تشترك في نطقه الشفتان، الشفة السفلى كناطق متحرك، والشفة العليا كنقطة نطق ثابتة، مثل/ب/، /م/، /و/،² فمن خلال هذا التعريف، نلاحظ بأنّ المعاجم المعاصرة لم تخرج عمّا جاءت به المعاجم القديمة، من تحديدها للمفهوم اللغويّ للحروف الشفويّة؛ فهي تكاد تتفق في تمييز الأصوات التي تخرج من الشفتين، وهي: (الباء، والميم، والواو). أمّا الملمح الصوتي، فهو تحديد العضو المسؤول عن صدور هذه الأصوات، ومن خلال هذا يمكن معرفة العضو الذي يتحرك من العضو الثابت في هذه العملية؛ وهي الشفة السفلى المتحركة التي تعمل على تشكيل الحرف وتحويله.

وبعد حديث الأزهري عن الحروف الذلقية والشفوية؛ ينتقل للحديث عن مخارج الأصوات الأخرى؛ فيقول عن مخرج الجيم والقاف : (فأمّا مخرج الجيم والقاف: فبين عكدة اللسان وبين اللّهاة في أقصى الفم)³ فحتى يصدر هذين الصوتين وهما: الجيم والقاف، لابد من توقّف عضوين في هذه العملية؛ وهما: عكدة اللسان واللّهاة. فيقصد بعكدة اللسان أصله؛ أي جذره، واللّهاة هي الجزء الواقع مباشرة فوق جذر اللسان. وهي (عضو لحمي صغير مرن يتدلى من الطرف الخلفي للحنك، وهي جزء

¹ - الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص57.

² - محمد علي خولي، معجم علم الأصوات، ص84.

³ - الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص57.

من سقف الفم مثل اللثة¹ وحتى يصدر صوت: /ج/و/ق/ ينبغي أن يشترك فيه مؤخر اللسان - عكدة اللسان- كناطق متحرك، واللهة مكان نطق ثابت.

ويتابع الأزهري حديثه عن مخارج الأصوات، وينتقل للحديث عن الحروف الحلقية فيقول: (وأما مخرج العين والحاء والهاء والغين فممن الحلق)² ولقد قام بذكر هذه الأصوات، ولم يفصل في موقع كل واحد منها؛ بل ذكرها مجتمعة مشيراً إلى موقعها في الجهاز الصوتي البشري؛ بينما حدد مخرج "الهمزة" التي قال عنها: (وأما مخرج الهمزة: فمن أقصى الحلق..)³ فأشار إلى موقعها وهو أقصى الحلق، انطلاقاً من تجربته التي قام بها مع باقي الحروف؛ وهي إدخال الألف على الصامت الساكن، حتى يتمكن من تحديد موقعه بصفة دقيقة.

يوصل الأزهري حديثه لينقل لنا مقدمة الخليل حين حديثه عن حروف العربية؛ في باب أحياز الحروف. فيأتي بها كاملة بعد أن قال: (ولم أجد خلافاً بين اللغويين أنّ التأسيس المجل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأنّ ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد أن تلقّفه إياه عن فيه... فرأيت أن أحكيه بعينه لتأمله وتردد فكره فيه، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه..)⁴ فهو يصرح مباشرة بنقل مقدمة العين بتمامها. ومن بعد الحديث عن المدرسة الصوتية، تنتقل للحديث عن مدرسة أخرى وهي مدرسة الترتيب الأبجائي؛ لتعرف على بعض معاجمها وأعلامها في الفصل الموالي.

¹- محمد علي خولي، معجم علم الأصوات، ص148.

²- الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص57.

³- نفسه.

⁴- نفسه، ج1، ص55.

تصدير:

تكاد تجمع الدراسات على أن الإرهاصات الأولى لظهور مدرسة الترتيب الألفبائي، كانت على يد العالم اللغوي أبو عمرو الشيباني (ت206هـ) في كتاب (الجيم) وأخذ به ابن دريد (ت321هـ) في (الجمهرة)، وابن فارس (ت395هـ) في (المقاييس)، و (المجمل)، والزمخشري (ت538هـ) في (أساس البلاغة) .

ويلاحظ على هذا النظام أن له صورتين:

الأولى : مراعاة الحرف الأول فقط وقد أخذ بهذا أبو عمرو الشيباني والزمخشري وانفرد الأول بعدم مراعاة الترتيب بعد الحرف الأول للكلمة وكذلك عدم مراعاة الزوائد في حين التزم الزمخشري بذلك .

والثانية: مراعاة الترتيب الهجائي والأبنية معاً؛ وقد أخذ بهذا النظام ابن دريد وابن فارس وانفرد الأول بإيراد تقلبات المادة في موضع واحد، في حين لم يلتزم ابن فارس بذلك؛ بل قَسَم كتابه على حروف وسمى كل حرف كتاباً وكل كتاب يضم أبنية الثنائي والثلاثي الخ .

أبو عمر الشيباني في معجمه الجيم؛ حيث قام بترتيب مادة معجمه وفق الحروف الهجائية، باعتبار أوائل الحروف، مع عدم اتباعها بالحرف الثاني فالثالث. (مما دفع بالكثيرين من العلماء الى عدم نسبة المدرسة للشيباني، ونسبوها الى البرمكي (ت397هـ) لأنه أضاف الى ما بدأه الشيباني الحرف الثاني والثالث)¹ومن خلال هذا، يمكننا القول إنّ البرمكي استنار بمعجم الجيم، كما استفاد من طريقة نصر بن عاصم في وضعه للنظام الألفبائي. وكذا مراعاته للحرف الثاني والثالث؛ أثناء عمله

¹ -مجلة الصوتيات، أبحاث الملتقى المغاربي الأول الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية الأول ، ص58.

في إعادة ترتيب الصحاح للجوهري. وبعد الحديث عن المدرسة؛ ينتقل بنا الحديث عن منهجها.

منهج مدرسة الترتيب الألفبائي

تقوم مدرسة الترتيب الألفبائي على نظام مخالف للمدرسة الصوتية؛ حيث اتبع أصحابها في ترتيب مواد معاجمهم، على أساس ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول، والثاني، والثالث. وهذه الطريقة أيسر من طريقة التقليلات الصوتية، وطريقة نظام القافية التي سنعرض لها بالدراسة في الفصل اللاحق لهذا.

قام بوضع هذه الطريقة أحمد بن فارس، وذلك في معجميه (مجمّل اللغة) (مقاييس اللغة). غير أنه يلتزم في ترتيبه الهجائي ما بعد الحرف الأول من حروف الهجاء إلى أن يبلغ الياء، ثم يعود فيذكر ما بعده من الهمزة إلى ذلك الحرف. كما سيتضح حين الحديث عن منهجه في أعمال المعجمين.

سار على هذه الطريقة كثير من أصحاب المعاجم حتى الآن، نذكر من ذلك أساس البلاغة للزمخشري (467هـ/538هـ)، ومعجم مختار الصحاح للرازي (ت666هـ). والمصباح المنير للفيومي (ت772هـ)، ومعجم محيط المحيط للبستاني (ت1819_1883م). وأقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني (ت1848_1912م)، والمنجد للأب لويس معلوف اليسوعي (1867_1946م). وأخيراً المعجم الوسيط الذي أخرجه مجمع اللغة. وسيكون الحديث فيما يأتي عن بعض تلك المعاجم.

معجم مجمل اللغة لابن فارس

كانت علوم ابن فارس¹ كثيرة، ومتنوعة لاسيما اللغة التي أتقنها وأكثر من التأليف في فروعها؛ لذلك اشتهر باللغوي، نتيجة مؤلفاته القيمة التي كان لها أثر كبير في الدراسات اللغوية. (وكان صاحب عقلية جبارة، وموهبة فذة مبتكرة، وقد شهد له بذلك الكثير من القدماء والمحدثين، كالثعالبي، وابن خلكان، والصاحب بن عباد، وعبد السلام هارون وغيرهم. ...) ²

أما عن طريقة ابن فارس في النحو، فكانت وفق المنهج الكوفي. وقد أحسن صنعة الشعر، ولعل ابن فارس أقدم من استعمل أسلوب الشعر في تقييد مسائل اللغة والعربية. ولقد وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل، أبيات شعريّة إذ يقول:

(إِنِّي لَأَذْكُرُ أَيَّاماً بَهَا وَلَنَا فِي كُلِّ إِصْبَاحٍ يَوْمَ قُرَّةِ الْعَيْنِ

العين ههنا: عين الإنسان وغيره.

تُذْنِي مُعَشَّقَةً مِنَّا تَشْجُهَا عَذْبَةٌ مِنْ نَابِعِ الْعَيْنِ

إِذَا تَمَزَّرَهَا شَيْخٌ بِهِ طَرَقُ سَرَتْ بِقُوَّتِهَا فِي السَّاقِ وَالْعَيْنِ

العين ههنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.³ ومن خلال هذا المثال، نستخلص ملمحاً صوتياً؛ وهو أنّ ابن فارس استعمل صيغة "العين" للدلالة على معنيين مختلفين؛ الأول للدلالة على حاسة البصر لدى الكائنات الحيّة، والثاني

¹ - هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، والمشهور بابن فارس. ولد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب التراجم الأقدمين تاريخاً محدداً لميلاده، لكنه — كما ذكر بعض الباحثين المحدثين — يدور حول عام 312هـ. أما وفاته فكانت سنة 395هـ.

² - محمد أحمد أبو الفرج، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1966، ص80.

³ - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تصح: المستشرق مرجليوث، المطبعة الهندية بالقاهرة، ج1، ص535.

للدلالة على ضعف الإنسان وهو الهون الذي يصيب ركبتيه أي الإنسان، والملمح الصوّتي البارز أنّه استعمل صيغة (ع، ي، ن) للدلالة على أمرين: أحدهما حسيّ وهو حاسة البصر لدى الكائنات، والآخر معنويّ يقصد به ضعف الإنسان. وقد تتلمذ على يد ابن فارس صاحبُ بن عباد، وبديع الزمان الهمداني، وأبو الفتح بن العميد وغيرهم. ولابن فارس مؤلفات كثيرة تزيد على الستين، منها (...المحمل، والمقاييس، والصاحبيّ، وأصول الفقه، وأخلاق النبي)¹، وغيرها كثير. كان لابن فارس هدف من تأليف المحمل، ويتبين ذلك من مقدمة الكتاب. وهو أن المؤلف كان يهدف إلى إخراج معجم، حسن الترتيب صغير الحجم. ولهذا جاء معجمه في أربعة أجزاء في مجلدين؛ أمّا عن منهجه² فقد اتبع ابن فارس في تنظيمه لمواد المحمل، منهجاً خاصاً خالف به سابقيه من المعجميين. وهو ما سنأتي إلى توضيحه في العنصر الموالي.

منهج ابن فارس في المحمل

1- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، طبعة إتحاد كتاب العرب، 2002، ج1، ص43.

2- عبد السلام هارون، مقدمة معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص41_44.

اتبع ابن فارس طريقة في إعداد معجمه، تتضح من خلال مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة؛ حيث جرى (...) على طريقة فذة بين مؤلفي المعاجم، في وضع معجميه الجمل والمقاييس. فهو لم يرتب موادها على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري في الصحاح، ...، ولم يَنْسُقْها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في أساس البلاغة، ...¹ قام ابن فارس بابتكار طريقة مغايرة لمن سبقه من معجميين؛ والتي نستخلص منها ملامح صوتية؛ حيث سلك نظاماً جديداً يقوم على أساس ترتيب مواد المعجم ترتيباً ألفبائياً؛ وهو إتباع الحرف الذي يلي الحرف الأول من المادة وصولاً إلى الياء، فمثلاً في باب حرف "الباء" لا يذكر المواد المدرجة تحت المادة التي تبدأ بـ:

"بأ"، "بب"، "بت"، بل يبدأ مباشرة بالمادة التي الحرف الأول منها هو الذي يلي حرف "الباء" في الترتيب الألفبائي، وهو حرف "التاء" ويواصل إلى أن يعود فيبدأ بالهمزة حتى يصل إلى الحرف الذي بدأ به. وهذا ما لم يكن موجوداً من قبل. وباعتماد ابن فارس لهذا الترتيب؛ قام بتقسيم مواد اللغة إلى كتب بدأها (بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء. ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف...، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية).² فابن فارس يقصد بالمضاعف، ثنائي الأصول كما جاء عند الخليل، وهي الصيغة التي يتألف جذرها من حرفين مثل صيغة "دق". فقد التزم في هذا المعجم ترتيباً خاصاً، وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه؛ ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة، وباب الثلاثي مما أوله

¹ - عبد السلام هارون، مقدمة معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 42.

² - نفسه، ج 1، ص 43، باختصار.

همزة وباء ترتيباً طبيعياً على نسق حروف الهجاء. ومثال ذلك في باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والحاء (جح) إلى أن تنتهي الحروف (جو) ثم ينسق بعد ذلك (جأ، جب).

وفي أبواب الثلاثي من الجيم (يبدأ بباب الجيم والحاء وما يثلاثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يثلاثهما، ثم باب الجيم والباء، ثم الجيم والشاء، مع مراعاة الترتيب في الحرف الثالث، ففي الجيم والنون وما يثلاثهما يبدأ أولاً بـ (جنه) ثم (جنى) ويعود بعد ذلك إلى (جناً، جنب، جنث، إلخ).¹ و الملمح الصوتي من خلال هذا النص وأمثله، يتمثل في ترتيب أصوات مادته على التسلسل الذي يعرف به النظام الألفبائي؛ فهذا هو الترتيب الذي التزمه ابن فارس في كتابيه (المجمل) و (المقاييس). ولهذا امتاز المجمل بمميزات كثيرة، أبرزها: الإجمال والاختصار، ومن مظاهر ذلك حذف الشواهد، وقلة العناية بالمجاز، ويظهر ذلك في بعض المواد إذا قورنت بما يقابلها في المقاييس. والأخرى اقتصاره على الصحيح، أي ما صح من كلام العرب؛ فلقد اشتهر ابن فارس بذكر الصحيح من كلام العرب، واقتصر عليه في كتابه (المجمل). وطريقة ابن فارس في معجمه لم تسلم من النقد، فلقد سُجلت جملة من المآخذ، سنعرفها في العنصر الموالي.

مآخذ عن المجمل

لم يسلم عمل ابن فارس - كغيره من الأعمال اللغوية - من النقد، ولقد

¹ - عبد السلام هارون، مقدمة معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 44، باختصار.

سُجلت عنه ملاحظات عدّة، يمكن إجمالها فيما يلي¹:

- إهماله الترتيب في بعض المواد؛ فقد أتى بها مخالفة للترتيب الذي رسمه لنفسه؛
فمادة (أتر) مثلاً كان حقها أن تذكر أول مادة في باب الألف والتاء وما يثلثهما،
ولكنه جعلها آخر الباب.

- الاختصار المخل؛ حيث اختصر بعض المواد اختصاراً أخل بمعناها، فمثلاً مادة
(أدر) لا يذكر إلا تصاريدها: أدر الرجل يأدر أدرأ، وهو آدر بيّن الأدرّة.

- وقد ذكر بعض الباحثين مآخذ عن كتاب المجمل؛ ولكنها مآخذ لا تقلل من
قيّمته بين المعاجم الأخرى، ومنه ننتقل إلى الحديث عن معجمه "المقاييس" فيما هو
آت.

1_ عبد السلام هارون، مقدمة معجم مقاييس اللغة، ج1، ص97-98، بتصرف.

معجم المقاييس

يُقصد بمصطلح المقاييس ما يسميه بعض اللّغويين "الاشتقاق الكبير"، الذي يُرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشترك فيها هذه المفردات. وحسب ما جاء في مقدمة المقاييس: (... أنّ العرب تشتق بعض الكلام من بعض)¹. وابن فارس لا يعتمد اطراد القياس في جميع مواد اللغة، بل هو ينبه على كثير من المواد التي لا يطرّد فيها القياس، كما أنّه يذهب إلى أن الكلمات الدّالة على الأصوات وكثيراً من أسماء البلدان ليست مما يجري عليه القياس.

إذاً هو منهج جديد في التّأليف المعجمي، يشبه إلى حد ما منهجه في كتاب المجمل؛ ولكن المقاييس يحمل أفكاراً جديدة على المعجم العربي كله، ولذلك وُصف على أنّه (كتاب جليل لم يصنف مثله)². وهناك من يرى بأنّ "المقاييس" (...مفخرة من مفاخر التّأليف العربي، ... ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة وحسن الذوق، ... ما يبعد به عن جفوة المؤلفات اللّغوية، وعنف ممارستها. ...) ³ فالطريقة التي جاء بها ابن فارس؛ وسهولة البحث في المعجم وبساطتها، ملمح صوتي أعطى لعمله مكانة مميزة في الحقل اللّغويّ، وبخاصة المعجميّ.

ولعل من توفيق الله لابن فارس ولكتابه المقاييس؛ أنّه حظي باهتمام كبير، حيث صُدِّرَ بمقدمة ورد فيها حديث عن حياة ابن فارس، وعن سيرته وخلقه، وتلقيه العلم، وتعليمه إياه، وعن أبرز شيوخه وطلابه، كما يبرز فيها حديث عن الجانب الأدبي واللّغوي عند ابن فارس.

منهج ابن فارس في المقاييس

1- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج1، ص43.

2- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص536.

3- ابن فارس، مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة، ج1، ص45.

بيّن ابن فارس في مقدمة الكتاب منهجه الذي سار عليه، ووضّح بأنه جديد خالف فيه أصحاب المعاجم الأخرى، وصرّح بأنه اعتمد في تأليفه على كثير من علماء اللغة الذين سبقوه حيث قال: (...وبناء الأمر في سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية، تحوي أكثر اللغة. فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، المسمى (كتاب العين)... ومنها كتاب أبي عبيد في (غريب الحديث) و (مصنف الغريب)،... ومنها كتاب (المنطق)... ابن السكيت. ومنها كتاب أبي بكر بن دريد المسمى (الجمهرة)... فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة¹. فمن خلال نصه هذا نرى أهم المصنفات الخمسة التي اعتمدها في إعداد كتابه، وعلى رأسها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي رائد المعجمية العربية الأول.

ما تميز به معجم المقاييس من ملامح صوتية؛ مميزات هامة، وأهم ذلك فكرتان أساسيتان اتبعهما ابن فارس في تأليفه للمعجم. الأولى فكرة الأصول والمقاييس. والثانية فكرة النحت التي اشتهر بها، وهي أن يحصر عبارة في كلمة؛ مثل عبارة "الحمد لله" تنحت في كلمة "حمدلة". أما عن الأصل، فيقصد به ابن فارس؛ البناء الذي يدل على معنى عام، بحيث يجمع كلمات تشترك معه في الحروف الأصلية التي هي حروف المادة.

وفكرة الأصول والمقاييس هي ما يسميه بعض اللغويين: (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشترك فيها هذه المفردات². ولهذا يقول في كتابه الصاحي: (أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن اللغة قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن

1_ ابن فارس، مقدمة المقاييس، ج 1، ص 3_5.

2_ نفسه، ج 1، ص 39.

الجيم والنون تدلان أبداً على الستر¹. فلكل حرف في العربية دلالة ينفرد بها تميّزه عن غيره، وهي ميزة صوتية تختص بها العربية عن سائر اللغات. ويذهب ابن فارس إلى أن الكلمات الدالة على الأصوات وأسماء البلدان، ليس مما يجري عليه القياس؛ لأنّ هناك العديد من الكلمات الدالة على الأصوات مستوحاة من الطبيعة، كأصوات الحيوانات. وقد نفعه اتباع هذا المنهج؛ في استخدام الأصول والمقاييس بعدة أمور منها: أنه قام بتخطئة بعض اللّغويين والفقههاء عند شرحهم للكلمة؛ لأن هذا الشرح غير موافق للقياس أو الأصل الذي بنى عليه المادة.

موقف ابن فارس من بعض المفردات

لم يجعل ابن فارس لكل مواد اللغة أصلاً يقاس عليه؛ بل إن المواد التي لا يتفرع منها كلمات لا يجعلها أصلاً مقيساً؛ (ولهذا كان له منهج خاص في المواد التي ليست أصولاً يقاس عليها)² ومن هذا المنطلق لم يجعل من الأصول؛ المادة التي لم يرد فيها إلا كلمة في باب الإتياع مثل: (بيص) لأنها — كما يقول — إتياع الحيص يقال: (وقع القوم في حيص بيص، أي اختلاط)³. فكلمة (بيص) ليست من المواد الذي يقاس عليها في اللغة العربية، وذلك أنّها جاءت مرسلّة إتياعاً لكلمة (حيص). ولا يجعل ما كان أحد حروفه زائداً كما في مادة (أمع)، من الكلمات التي يقاس عليها، إضافة إلى أسماء المواضع، والنباتات، والأشخاص، والكنيات، والألفاظ المبهمة؛ فهذه كلها لم يجعلها أصولاً يتفرع منها أو يقاس عليها شيء. كما جعل ما ليس عربياً في الأصل مثلاً يقاس عليه، مثل (جلق) وهي صيغة

1_ ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص35.

2_ أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ص105_108.

3- نفسه.

دخيلة، ليست من أصل عربي فلا يجعلها أصلاً في ميزان القياس.

وهكذا مع باقي الحروف، ما عدا حروفاً خمسة لم يذكر ما بدئ بها مما زاد على ثلاثة، ولم يفرد لها أبواباً مستقلة. وتلك الحروف هي: الهمزة، والظاء، والميم والواو، والياء، والسبب هو ما أشار إليه، من أن الاعتبار بما يجيء بعد هذه الأحرف كما في نحو: (ابلندح)، و(اتلأب)، و (اتمهل)، و (اليغفور) وغيرها¹.

ولابن فارس في كتابه المقاييس ملامح صوتية عديدة منها، فكرة الأصول والمقاييس في الشائي والثلاثي فكذلك كانت له فكرة جديدة؛ فيما زاد من الكلمات عن ثلاثة أحرف، وقد وضح هذه الفكرة بقوله: (اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان، وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي، فنقول: إن ذلك على ضربين: أحدهما: المنحوت الذي ذكرناه، والضرب الآخر: الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس.)² والمتأمل لكلام ابن فارس في هذا الموضوع وفي مواضع أخرى من كتابه؛ يجد أنه قسّم الرباعي والخماسي أقساماً ثلاثة: المنحوت، والمزيد، والموضوع وضعاً على أربعة أحرف أو خمسة، وسوف يتضح منهجه في تبين هذه الأقسام الثلاثة في الفقرات التالية.

أما عن المنحوت فقد أرجع ابن فارس كثيراً من الكلمات الرباعية والخماسية إلى النحت. وكان ذلك من منهجه في أبواب ما زاد عن ثلاثة أحرف من الكلمات؛ وهو الملمح الصوتي الظاهر من هذه الفكرة، فهو يرى أنّ أيّ كلمة زادت عن ثلاثة أحرف منحوتة.

1- أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ص110.

2- ابن فارس، معجم المقاييس، ج1، ص12.

ينتقل بعدها إلى المزيد؛ وليس المقصود منه المزيد عند علماء الصرف، بل هو في الرباعي المأخوذ من الثلاثي لكنهم يزدون فيه حرفاً، يزدونه للمبالغة (كما يفعلون ذلك في (زرقم) يعني أزرق، ...) ¹ "فمن هذا المثال، نلاحظ تغير معنى الصيغة "أزرق"، بمجرد إضافة صوت "الميم"، مما أدى إلى تغير دلالتها التي أصبحت تطلق على اسم طائر؛ فانتقلت إلى معنى آخر بعد ما كانت تدل على لون معين.

آخر الأقسام التي أتى بها؛ هو الموضوع والمقصود منه عنده، ما وضع عليه بدون زيادة أو نحت؛ ولذلك جعله ابن فارس قسماً مستقلاً، ويضعه عادة آخر الباب. وقد يخلط في النادر بينه وبين المنحوت والمزيد؛ بل إن الكلمة الواحدة قد تتردد عنده بين الاشتقاق والوضع بدون ترجيح كما في كلمة (الزمهرير).

وعن كيفية تعامل ابن فارس مع الألفاظ التي ليست من أصل عربي، وعن فكرة النحت التي جاء بها، أنتقل للحديث عن منهجه في النقد الذي وظّفه في معجمه المقاييس فيما هو آت.

منهج أحمد بن فارس في النقد اللغوي

أتيح لابن فارس النظر في الأعمال اللغوية التي سبقته؛ غير أنّه اختار منها أعمالاً خمسة جعلها مصادر رئيسة لمعجمه المقاييس، وكل ما عداها فروع. وهذه الخمسة هي: معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، وكتابا أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ) (غريب الحديث) و(مصنف الغريب)، وكتاب ابن السكّيت (ت244هـ) المنطق، وكتاب أبي بكر بن دريد (ت321هـ) الجمهرة ².

¹ - أبو أوس إبراهيم الشّمسّان، أخطاء الطلاب في الميزان الصّرفيّ، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1995، ص 85.

² - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص3-5.

يجد الناظر المتفحص في المقاييس، أن الكم الأكبر من مادته، مأخوذ من مصدريه الرئيسين العين والجمهرة، (فقد أكثر ابن فارس من النقل عنهما واقتباس ما ورد فيهما).¹، بحيث تبدو بقية كأنها بالفعل مصادر ثانوية. ولا تكاد تخلو صفحات المقاييس من ذكر للخليل وابن دريد.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن جعل بعض الدارسين ابن فارس من أتباع (المذهب الكوفي البغدادي)²، غير أنه لم يُظهر تعصباً لهذا المذهب على المذهب المنافس (البصري). ويتضح عدم تعصبه في إعجابه الشديد بإمام العربية وعالمها الأول اللغوي البصري الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد تأثر به ونقل عنه. وكذلك الحال بالنسبة إلى ابن دريد البصري؛ غير أن هذا الإعجاب والتأثير لم يمنعا ابن فارس من نقد العين والجمهرة في المواطن التي يراها ابن فارس معارضة لمواقفه اللغوية.

موقف ابن فارس من الخليل

جعل ابن فارس (العين) على رأس مصادره الخمسة للمقاييس، ويظهر هذا جلياً في عبارته التي صدر بها مصادره؛ إذ يقول: (فأعلاها وأشرفها...)³ وهذا يدلنا على مكانة الخليل، وكتابه العين لدى ابن فارس الذي اختاره من بين كتب اللغة خمسة.

1- محمود عبد الله جفال، منهج أحمد بن فارس في النقد اللغوي في معجم مقاييس اللغة، نقد الخليل وابن دريد أنموذجاً، دراسة، الجامعة الأردنية، ص 93.

2- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1979، ج1، ص352.

3- ابن فارس، المقاييس، ج1، ص3.

و الجدير بالذكر؛ أن عدداً من اللغويين والدارسين من قدامى ومحدثين، قد شككوا في نسبة العين إلى الخليل، ولهم في ذلك ثلاثة مذاهب (فالأول ينكر نسبة العين إلى الخليل؛ والمذهب الثاني يقر بنسبة العين إلى الخليل؛ والمذهب الأخير يرى أن الخطة والمنهج هما للخليل، وأما حشو المادة فهو لغيره، وعزا عدد من الدراسيين حشو المعجم إلى الليث بن المظفر).¹ أمّا أحمد بن فارس فيبدو أنّه يقرّ بنسبة العين إلى الخليل؛ إذ يذكر العين وسلسلة سند رواته إلى الخليل. ورغم ذلك فقد وجه ابن فارس أحياناً نقداً شديداً للعين كما سيتضح في موضعه.

ويجد الدارس أثر العين في ترتيب المقاييس، ومن المعلوم أن ترتيب العين يقوم على ثلاثة أسس: الترتيب المخرجي للحروف، ترتيب الأبنية (وهي ستة أنواع)، نظام التقاليب.

وعلى الرغم من اتخاذ ابن فارس الترتيب الألفبائي للحروف، إلا أنه اقتبس من العين ترتيب الأبنية وإن خالف الخليل في جعل الأبنية ثلاثة أقسام: الثنائي المضاعف والمطابق، والثلاثي وما زاد عن الثلاثي (ويشمل الرباعي والخماسي)².

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن دريد اتخذ الترتيب الألفبائي للحروف؛ غير أن الأبنية عنده ستة أنواع تشبه تقسيم الخليل مع اختلافات يسيرة، وأبقى صاحب

¹ - ينظر، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، ص 61.

² - ترتيب الأبنية في مدرسة العين: 1- الثنائي / المضاعف والمطابق، 2- الثلاثي الصحيح، 3- الثلاثي المعتل، 4- اللفيف، 5- الرباعي، 6- الخماسي. ويلاحظ أن الثلاثي ثلاثة أنواع في حين أنه نوع واحد عند ابن فارس. ويلاحظ أيضاً أن العين جعل الرباعي باباً مستقلاً، والخماسي باباً مستقلاً، بينما جعل ابن فارس كلاً م الرباعي والخماسي واحداً اسماء: ما زاد على الثلاثي، وهو الذي طبق عليه نظريته في النحت.

الجمهرة على نظام التقاليد. ويرى بعض الدارسين المحدثين اتفاقاً كبيراً من حيث الترتيب في الجمهرة والمقاييس، على أن ابن فارس طرح نظام التقاليد ولم يعتدّ به.

وربما يجد الدارس المطالع للمعاجم العربية القديمة أن معجم ابن فارس المقاييس يمكن أن يشكل مدرسة قائمة بذاتها، إضافة إلى معجمه (المجمل) وهناك من الدارسين المعجميين المحدثين من جعل المقاييس (ضمن مدرسة الجمهرة مع الإشارة إلى أوجه الفرق بين الجمهرة وبين كل من المقاييس والمجمل. ورغم ذلك فقد كان المقاييس أقرب إلى العين منه إلى الجمهرة).¹

ولاحظ بعض الدارسين المحدثين أيضاً (أن ابن فارس اقتفى أثر الخليل وابن دريد في ترتيب المواد بالنسبة لحروفها التالية شريطة أن يكون التالي متأخراً عن سابقه في ترتيب الهجاء).² ومن ذلك أن حرف السين (باب السين) يبدأ بالكلمات التي يكون الحرف التالي للسين في الترتيب الهجائي هو الذي يبدأ به ابن فارس؛ فنجد الكلمات التالية: في المضاعف المطابق: (سع، سغ، سف، سك، سل، سم، سن، سب، ستّ، سجّ، سخّ، سدّ، سرّ، وفي الثلاثي: (سطع، سطل، سطم، سطن). وحين ينتهي ابن فارس إلى حرف الياء أو أي حرف قبل الياء مما تتألف منه المواد المستعملة يعود فيقدم الألفاظ التي يكون الحرف التالي للسين هو الألف ثم الباء ثم التاء... إلى ما قبل السين..

ويرى بعض الدارسون أن هذا الترتيب يناسب منهجي العين والجمهرة، وسبب ذلك أن هذا الترتيب كان ضرورياً للخليل وابن دريد؛ لأنهما يجمعان التقاليد في موضع واحد؛ فتأتي تأليف كل حرف فيما سبقه من أبواب.

¹ - حسين نصار، المعجم العربي، ج1، ص445.

² - محمد مصطفى رضوان، العلامة اللغوي ابن فارس اللغوي، دار المعارف مصر، 1971، ص125.

نقد ابن فارس للخليل

لم يمنع إعجاب ابن فارس بالخليل، وإقراره بإمامته في اللغة وتوثيقه، من توجيه النقد إلى أقواله، ومخالفته، والتشكيك بصحة ما ورد عنه أحياناً. ولعل من أهم أسباب ذلك أن ابن فارس صاحب نظر لغوي، فكان يحكم بعدم الصحة، وعدم الصواب لكل ما كان يخالف موقفه اللغوي حتى لو كان مروياً عن إمام اللغويين الخليل بن أحمد.

ولما كان ابن فارس لا يرى المادة أصلاً مقيساً فقد أعقب قول الخليل بتعليقه التالي: (وليس ذا بشيء...¹) وهذا يعني رفض ما نقل عن الخليل، والشك فيما روي عنه. ويلاحظ وقوع الإبدال أو القلب في بعض حروف أكثر المواد التي تشكك فيها ابن فارس ونُسبت إلى الخليل. وقد انتهج ابن فارس عدة طرق في التعامل مع تلك الأمثلة. ولعل بعضها ما يقع في الفروق بين اللهجات العربية، أو ربما يقع تحت ما يسميه القدماء بالتصحيف أو التحريف؛ وقد يكون التصحيف عادةً من نقل النسخ، وأما التحريف فكثيراً ما يقع من الخطأ في السماع.

خصائص معجم المقاييس

يمكن إجمال أهم خصائص معجم المقاييس؛ في أنه اتبع فيه الأبجدية العادية، وابن فارس رائد هذه المدرسة، (امتاز بفكرتي الأصول والمقاييس. تضمن بعض المسائل والقواعد الصرفية)². اهتم بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، والشعر. وأثبت شخصيته في كثير من الأحيان، فابن فارس يناقش العلماء، ويخالفهم أحياناً، أو يرجح كلامهم على غيره.

¹ - ابن فارس، معجم المقاييس، ج2، ص257.

² - خالد فهمي، المعاجم الأصولية في العربية، ص 116-120، بتصرف.

ولقد احتوى المعجم على ترجيح بعض القراءات. كما أشار إلى بعض لهجات العرب. وكان يميل إلى الاختصار. ورغم الدقة التي امتاز بها كتاب المقاييس عن غيره من المعاجم اللغوية الأخرى، فقد تعرض لبعض المآخذ التي يمكن إجمالها فيما يلي: كان يختصر في بعض المواضع، مما أدى به إلى ترك إكمال الحديث النبوي، والبيت الشعري؛ حيث يقتصر على ذكر موضع الشاهد وحسب، كما أنه لم يسر على نظام ثابت في رسم المعتل، مثل (حنو) و (عصوى) و(رثى). إضافة إلى أنه لم يسر على طريقة واحدة فيما عده خارجاً عن الأصول، فقد أخرج _مثلاً_ حكاية الأصوات في كثير من المواد؛ لكنه جعلها في بعض المواد أصلاً.

ولقد تأثر بابن فارس كثير من أصحاب المعاجم من بعده، وخاصة المعاجم الحديثة في طريقته المبتكرة وهي طريقة استخلاص المعاني العامة المشتركة التي تدور حولها ألفاظ المادة، والتي سماها بالأصول. وبعد معجم "المقاييس" لابن فارس، تنتقل للحديث عن معجم آخر وأخير ينتمي إلى هذه المدرسة وهو "جمهرة اللغة" لابن دريد

معجم جمهرة اللغة لابن دريد

جمهرة اللغة هو من المعاجم اللغوية العربية القديمة، التي خطت بالصناعة المعجمية خطوات موفقة، وقد قدم ابن دريد نموذجاً علمياً لما يمكن أن يكون عليه المعجم العربي؛ فكان بذلك من أعلام البحث المعجمي.

وقد اشتهر ابن دريد¹ بتصنيفه الدقيق حيث تمت جدولة موضوعاته وفهرستها بناءً على ترتيب حروف المعجم. ويمثل الكتاب نظاماً جديداً من التأليف مختلفاً عن نظام الخليل وما تبعه من المعاجم التي سارت وفق مدرسة التقليبات الصوتية.

¹ هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد؛ ولد عام 223هـ بالبصرة، وتوفي فيها عام 321هـ عن ثمانية وتسعين عاماً. ويعد من أبرز علماء القرنين الثالث والرابع من الهجرة.

(فالخليل أول من وضع منهجاً لعمل معجم عربي وفق أسس رياضية رسمها بعقلية عربية مبدعة وقد اتبعها من اتبعها من اللغويين العرب..¹) "توظيف الخليل للفكر الرياضي، ملمح صوتي يبرز في ابتكاره لمبدأ التقاليد في حقل اللغة، وبالتالي استنباطه لعلم الأصوات العربية. فابن دريد كان ممن حوّر طريقة الخليل بعد أن أدرك صعوبتها.

لم ينكر ابن دريد فضل السبق للخليل، ودليل هذا قوله في المقدمة الجمهرة : (... ولم أجر في إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء في علمائنا ولا الطعن في أسلافنا.. وإثماً على مثالمهم نحتدي... وقد ألّف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي... كتاب العين. فأتعب من تصدى لغايته... فالمنصف له بالقلب معترف، والمعاند متكلف.... ولكنّه رحمه الله ألّف كتاباً مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته...) "² فابن دريد، نهج سبيل الخليل في إعداد معجم لغويّ مشاكل للعين إلاّ أنّه غيّر في طريقة الخليل، بعد أن أدرك صعوبتها على من يطلب ضالته في العين؛ وسبب ذلك يرجع إلى الطريقة الصوتيّة التي رتب بها معجمه وفق مخارج الحروف. والملمح الصّوتي هو اتباع ابن دريد الطريقة الأبجدية العادية وإبقائه نظام التقليلات.

مقدمة كتاب الجمهرة

قدّم ابن دريد أهميّة حروف العربية التسعة والعشرين؛ حيث قال: (اعلم أنّ الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات

¹ - شرف الدين أراجحي، محمد ابن دريد وكتابه الجمهرة، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 1985، ص271.

² - أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد، جمهرة اللغة، تح رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ج1، ص3.

تسعة وعشرون حرفاً...) ¹ "فابن دريد، افتتح قوله بمثل ما جاء في مقدمة العين؛ حيث ذكر عدد الحروف المستعملة في الكلام، وهي تسعة وعشرون حرفاً، وهذا مألوف عند سابقه؛ لكنّه أضاف أمراً آخر وهو (...منها حرفان مختص بهم العرب دون الخلق، وهما الظاء والحاء....) ² "فهو يشير إلى أنّ العربية اختصت عن سائر اللغات بصوتي الظاء والحاء. الغير الموجودين في اللغات الأخرى، وهو الملمح الصّوتي البارز عنده. فباقي الأمم لا يوجد عندها هذين الصوتين في أبجديتها.

وبعد ذلك يقدم باباً خاصاً بصفات الحروف وأجناسها؛ فيقول إنّها سبعة أجناس يجمعهن لقبان : المصمتة والمذلفة؛ فالمذلفة ستة أحرف والمصمتة اثنان وعشرون حرفاً، منها ثلاثة حروف علّة، وتسعة عشر حرفاً صحاحاً. (...فمن المصمتة الصحاح حروف الخلق، وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والغين والحاء مأخذهن من أقصى الخلق إلى أدناه..) ³ "بعد هذا يشرع ابن دريد بتقديم وصف لمخارج الأصوات بحسب مواقعها.

ويذكر ابن دريد سبب تسمية معجمه بالجمهرة، من خلال قوله : (وإنما أعرفناه هذا الاسم؛ لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب، وأرجأنا الوحشي المستنكر) ⁴ . فالهدف واضح من المقدمة، ويكاد ينحصر في أمرين هما:

جمع الألفاظ الشائعة المألوفة، والبعد عن الوحشي المستنكر، إضافة إلى جمع الألفاظ بطريقة ميسرة خلاف ما كانت عليه طريقة الخليل. وعن ذلك يقول السيوطي: (... أملى ابن دريد الجمهرة في فارس، ثم أملاها بالبصرة وبيغداد من حفظه، ولم

¹ - ابن دريد ، جمهرة اللغة، ج1، ص41.

² - نفسه.

³ - ابن دريد ، جمهرة اللغة، ج1، ص45.

⁴ - نفسه، ج1، ص4.

يستعن عليها بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللفيف.¹ وذلك لصعوبة صوت الهمزة والاختلافات الواردة في نطقها تحقيقاً، أو تخفيفاً أو حذفاً أو تسهياً.

جهود ابن دريد الصوتية

اعتمد ابن دريد على دراسة من سبقه من علماء العرب كالخليل، وسيبويه، وغيرهم من النحويين. وقد أشار صراحة إلى الفراهيدي بأكثر من موضع في مقدمة الجمهرة، وأثنى عليه بما هو أهل له. وقال: (...إنما على مثاهم نحتدي، وبسبيلهم نفتدي، وعلى ما أصلوا بنينا²). والملمح الصوتي، هو أن ابن دريد عالج موضوعات شتى في الدرس الصوتي؛ منها محاولته إحصاء أصوات العربية، وبيان مخارجها واجتلاء طائفة من صفاتها العامة كالجمهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، و بعض الصفات الفارقة التمييزية كالإطباق، والذلاقة، والاصمات، والتفشي، وما يدخل تحت قوانين علم الصوت من تلوينات صوتية منها: الإبدال، والقلب، والإدغام، وستجد هذه المباحث سبيلها إلى الدراسة والتقويم وبيان المعاصر فيها .

أصوات العربية

ذكر ابن دريد رأيين في عدد أصوات العربية؛ فهي عنده في موضع تسعة وعشرون صوتاً عن قوم من النحويين وفي موضع آخر بلغت تسعة وعشرين مرجعهم إلى ثمانية وعشرين³ ويبدو أنه مع الرأي الثاني فهي عنده تسعة وعشرين

1_ جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة الحلبي القاهرة، ط1، ج1، ص94_95.

2 - ابن دريد، الجمهرة، ج1، ص9.

3 - ينظر، ابن دريد، الجمهرة، ج1، ص41.

مرجعهن إلى ثمانية وعشرين ويبدو أنه مع الرأي الثاني ، لأنه عاد في حديثه عن الأصوات المصمتة والمذلقة¹ فرجحه.

ومجمل الخلاف في عدد أصوات العربية راجع إلى اختلاف اللغويين حول صوت الهمزة، فمن أخرج هذا الصوت منها لاحظ مايلحقه من النقص والتغيير، فتارة تكتب واواً وتارة ياء أو ألفا فكأنه صوت لا صورة له ولذلك أسقطوه. ويبدو أن أساس الوهم في هذا، ..اختلاط مفهوم الألف بالهمزة ، لاتفاقهما بالرسم عندهم من خلال مجاورتهم لكتابة الحركة الطويلة على شكل الألف الموافق للآرامي ألف²)

مخارج الأصوات

يعد الفراهيدي أقدم من رتب مخارج الأصوات في العربية، باعتماد (الذوق)؛ وهو ما يدخل في علم الصوت النطقي وخلص إلى ترتيبها من الحلق حتى الشفتين . مع إيمانه أن (الهمزة مخرجها من أقصى الحلق)³، إلا أنه أثر عدّها من الأصوات؛ لأنّها وفق رأيه مهتوتة مضغوطة ... فهي (لاتقع في مدرجة من مدارج اللسان ، إنما هي هاوية في الهواء)⁴. وقد خالفه في ذلك سيبويه بإعادتها إلى أصوات الحلق.

¹ - نفسه، ج1، ص43.

² - عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، ص18.

³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج 1، ص52.

⁴ - نفسه، ص57.

ويختلف عدد مخارج الأصوات عند الفراهيدي وسيبويه، فهي عند الأول تسعة مخارج وعند الثاني ستة عشر مخرجاً؛ ووافق ابن دريد سيبويه فيها خلافاً لما ورد عنه في أنّها أربعة عشر مخرجاً بإسقاط مخارج النون واللام والراء، وجعلها مخرجاً واحداً وهو طرف اللسان، بيد أن الذي بين أيدينا من نسخة الجمهرة فيه (.. ثم النون تحت حافة اللسان اليمنى، واللام قريبة من ذلك، والراء إلا أنّ الراء أدخل منه بطرف اللسان في الفم..)¹. ولو تأملنا هذا القول عُدت النون واللام والراء من مخرج واحد، فإنه مخالف لنصه الذي قدم به في حديثه عن (مخارج الحروف وأجناسها) من أنّها ستة عشر مخرجاً.

ومع ذلك فإننا نستشعر اضطراباً ملحوظاً في إيراد ابن دريد للمخارج، حين تلقاه لا يوردها إيراد سيبويه لها في الابتداء بأصوات الحلق والانتهاء بأصوات الشفتين؛ فهو يورد بعد ذكره أصوات الشفتين النون الخفيفة، وهي نهاية الأصوات عند سيبويه، أصوات (الطاء والذال والشاء)، ثم يورد مخرج (الضاد)؛ ولعل هذا الاختلاف بين ابن دريد و سيبويه يرجع إلى النسخ الكثيرة التي ألفت عن الجمهرة، ويؤكد هذا الظن ابن النديم (380هـ) حين يذكر عن هذا المعجم كونه: (.. أملاه بفارس وأملاه ببغداد من حفظه، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص ...) "فتعدد النسخ وما تحوى عليه، راجع إلى الأماكن التي زارها وبقي فيها وقتاً من الزمن حتى تمكن من إملاءه على تلامذته.

¹ - ابن دريد، الجمهرة، ج1، ص45.

² - ينظر، محمد بن إسحاق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص67.

ومع اتفاق ابن دريد مع سيبويه بجملة ما أورده من مخارج الأصوات، فقد خالفه في بعض الجزئيات مثل صفة الضاد؛ ومخرج الضاد عند سيبويه من (أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس)¹ في موضع يلي أصوات الجيم والشين والياء . أما (الضاد) عند ابن دريد، وسط اللسان مما يليه إلى الحافة اليمنى . فالضاد عند سيبويه (لثوية حنكية)² والضاد عند ابن دريد تتركز على حافة اللسان في نقطة تبدو أكثر تقدماً نحو سقف الحنك الصلب على الأضراس الأمامية، ويكاد لها ينطبق على (الضاد) الضعيفة، التي أشار إليها سيبويه من أنها (تتكلف من الجانب الأيمن ... لأنها من حافة اللسان .. وهي أخف... تخالط مخرج غيرها بعد خروجها ، فتستطيل حتى تخالط حروف اللسان)³ وإذا صح هذا الرأي، يفترض سماع ابن دريد لهذه الضاد عن طائفة من البيئات العربية التي زارها أثناء تجوله بينها.

وخالف ابن دريد سيبويه بعدّه النون قبل اللام ومذهب سيبويه يقدمه، والمحدثون على ذلك لأن النون عندهم (صوت أسناني لشوي أنفي يحدث من انخفاض الجزء اللين من الحنك ، فيتمكن الهواء المنبعث من الرئتين من المرور عن طريق الأنف).⁴ أما اللام، فصوت حاصل من اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا العليا . فالنون على هذا أدخل مخرجاً من اللام.

¹ - أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، كتاب سيبويه، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط3، 1988، ج2، ص400.

² - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب - القاهرة، 2000، ص105.

³ - سيبويه، كتاب سيبويه، ج2، ص404.

⁴ - نفسه، ج2، ص404.

ويشوب وصف ابن دريد لمخارج الأصوات شيء من الاختصار عكس سيبويه؛ فبينما يطيل سيبويه وصف اللام - على سبيل التمثيل - بالقول من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك، والناب والرابعة، والثنية، يكتفي ابن دريد بالقول اللام قريبة من ذلك، وهو يريد مخرج النون.

صفات الأصوات عند ابن دريد

استعمل القدامى مصطلح الصفة لذلك النمط من دراسة الأصوات مفردة، وبإمعان النظر في مصنفات متقدمي النحاة؛ ننتهي إلى أنهم لم يستعملوا مصطلح الصفة عنواناً للدراسة ككل؛ وإنما تدرج تحت باب من أبواب الدراسة. فيتبين مفهوم الصفة عند علماء العربية من خلال ما درسوه من صفات صوتية في هذا الباب.

فمعنى الصفة في الاصطلاح أنها كيفية تعرض للحرف عند حصوله في المخرج من الجهر و الهمس، والشدة، و الرخاوة، و نحو ذلك، وهذه الصفات لازمة للحروف لا تنفك عنها أبداً، تعطي الطرق المختلفة لنطق الأصوات الصامتة صفاتها

الرئيسة كالجر، و الهمس، و الإطباق، و نحو ذلك. و أهمّ ما يدرسه المحدثون من صفات النطق ما يتعلّق بحركة الوترين الصوتيين، وحركة اللسان.

ولئن جهل علماؤنا العرب حقيقة الوترين الصوتيين وأهميتهما في تبيان مجهور الصوت من مهموسه، فإنهم تمكنوا بإتباع علم الأصوات النطقي من الوصول إلى نتائج حسنة أقر جلها المحدثون . ولعل أقدم من تصدى للتفريق بين الجهر في الصوت والهمس فيه من علماء العرب؛ سيبويه حين عرّف المجهور بأنه (حرف أُشْبِعَ الاعتماد في موضعه ومُنِعَ النَّفْسُ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت)¹ فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس، ولا يفهم من الاعتماد غير عملية إصدار الصوت، تلك العملية التي تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي، إذن فإشباع الصوت وضوحه؛ و الاعتماد يقصد به العملية العضوية اللازمة لإصدار الصوت.

أما عن المهموس؛ فهو (حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)² فقد عبر سيبويه بضعف الاعتماد، وهذا يعني عدم تمكن الحرف أثناء جريانه في مجراه، مما يؤدي إلى قلة الوضوح السمعي، وكذلك نجد طريق النفس معه مفتوحاً؛ بحيث يسمح بانسيابه حرّاً طليقاً، وتلك هي الحال التي عبر عنها المحدثون بقولهم: (إن الوترين الصوتيين مع المهموس يبتعد أحدهما عن الآخر، فينطلق النفس من بينهما دون الحاجة إلى تحريكهما، وإحداث ذبذبات بهما، وهذا هو جريان

¹ - سيبويه، الكتاب، ج2، ص 405.

² - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، ط1، ج4، ص434، وينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص60.

النفس مع المهموس ومنع جريانه مع الجمهور).¹ فمعنى عدم الحاجة إلى تحريكهما، ذلك الاهتزاز الطفيف للوترين الصوتيين الذي يحدثه مرور الهواء الخارج من الرئتين؛ فمفهوم "الهمس": جريان النفس في مخرج الحرف عند النطق به. فيكون الصوت حينئذ خفياً وضعيفاً لضعف انحصاره في المخرج. وقابل الموضع عند سيبويه المخرج عند المحدثين².

ولم يشأ ابن دريد تكرار تعريف سيبويه للصوت الجمهور والمهموس بألفاظه كما فعل من تلاه من اللغويين، دونما إضافة شيء يذكر ولكنه عزا جهر الصوت إلى اتساع المخارج، فقال (إنما سميت مجهورة، لأن مخرجها لم يتسع، فلم تسمع لها صوتاً)³ والهمس لأنها تسترخي في المجاري، حيث يتسع للأصوات المهموسة المخرج (فخرجت كأنها متفشية)⁴ وإذا أحسنا الظن بتعريفه الموجز للمهموس، أدركنا إشارته لاتخاذ الوترين الصوتيين حالة الاسترخاء بـ "اتساع المخرج"، ولالتقاءها في حالة الجهر في غير اتساعه، المفهوم من قوله لم يتسع. ولو صح الظن هنا، فيمكن القول إن إشارته الموجزة في قوله: (فلم تسمع لها صوتاً)⁵ حيث يؤكد المحدثون أن المسافة بين الوترين الصوتيين تتسع في المجهورات اتساعاً نسبياً، ويقل بذلك ضغط الهواء في أثناء تسربه وتقل بذلك سعة الذبذبات.

¹ - كمال بشر، علم اللغة العام، دار المعارف مصر، 1973، ص86. وينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص20.

² - محمود فهمي الحجازي، التطور اللغوي، ص231، وينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص125.

³ - ابن دريد، الجمهرة، ج1، ص46.

⁴ - نفسه.

⁵ - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص171.

وذكر ابن دريد ثمانية عشر صوتاً مجهوراً ليس بينها صوت الزاي، مقابله تسعة عشر صوتاً عند سيبويه، وليس من العسير افتراض سقوطه من مخطوطات الجمهرة، ولعل تكرار " الجيم " جاء من تصحيف صوابه " الميم " ويخالف علماء الصوت المحدثون سيبويه، وابن دريد في عد أصوات الهمزة والألف والقاف والطاء ضمن المجهور من أصوات العربية.

أما الهمزة فلا يمكن وصفها بجهر ولا همس؛ لأن وضع الأوتار الصوتية معه لا يسمح بشيء من ذلك¹. والمعروف أن الألف صوت لين لاتصحبه حركة في الأوتار الصوتية.

الصفات الثانوية

تصنف أصوات العربية في التراث الصوتي العربي بناء على أساس درجة الانفتاح أو نوع الاعتراض؛ إلى ثلاثة أنواع هي: الشديدة، والرخوة، والمتوسطة. وسيقتصر حديثنا في هذا العنصر على صفتين هما: فالصوت الشديد حسب ما عرفه سيبويه هو: (الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، والحروف الشديدة: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، التاء، الدال، الباء)² فالصوت الشديد، يصدر نتيجة حبس النفس الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع ما من آلة النطق.

أمّا الصوت الرخو فهو الذي لا يحبس الهواء في مجراه حبساً تاماً؛ وذلك بأن (يُضيق النفس مجرى باقتراب عضوين من أعضاء آلة النطق نحو بعضهما في

¹ - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 112.

² - سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 232.

مخرج الحرف دون أن يُقفلاً المجرى¹ "فأثناء مرور النفس بمخرج الصوت، يحدث همساً مسموعاً، تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق مجرى الصوت.

والحروف الرخوة في اللغة العربية هي (ثلاثة عشر صوتاً من تسعة وعشرين)² "ولقد حدد ابن دريد مصطلح الأصوات الرخوة بقوله (سميت رخوة، لأنها تسترخي في المجاري)³ " ولم يورد تعريفاً للأصوات الشديدة كما فعل سيبويه حين عرفهما معاً، مشيراً إلى الرخو بأنه (الذي يجري فيه الصوت، والشديد بأنه الذي يمنع الصوت أن يجري فيه)⁴ " على أن ابن دريد لم يفد إفادة سيبويه في ذكر ما يندرج تحت المصطلحين من صفات الأصوات، فحاول تقديم وصف لبعضها.

وليس من خلاف في الهاء، فهو صوت رخو مهموس، وسيبويه يخالفه في ذلك ويعده في الأصوات الشديدة ويعضده في ذلك المحدثون، لحدوثه أثناء اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، ومن هنا يُسمع له صوت انفجاري يجيء عند انفصال العضوين المذكورين.

ولقد عدّ ابن دريد السين ضمن الأصوات الشديدة وهو ليس كذلك؛ لأنه صوت رخو مهموس، وإلى ذلك ذهب سيبويه أيضاً. وخالف ابن دريد سيبويه في حرف (العين) في عدها ضمن الأصوات الرخوة، وهي عنده متوسطة الشدة ولم يزل حرف (العين) تمثل مشكلة يعسر التعرف على خواصها تلك الخواص مازال بعضها

¹ - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص23. وينظر: قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد، 2002، ص110.

² - مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص100.

³ - ابن دريد، الجمهرة، ج1، ص46.

⁴ - سيبويه، الكتاب، ج2، ص406.

غير واضح تماماً. وبعد الحديث عن مدرسة النظام الألفبائي، أنتقل إلى آخر هذه المدارس، وهي مدرسة نظام القافية، والملامح الصوتية المستخلصة من جهود أعلامها ومعاجمهم.

تصدير:

تقوم مدرسة القافية على نظام يخالف المدرستين السابقتين، وهو جعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً، مثل: الصحاح للجوهري، واللسان لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي. تعتمد على الحرف الأخير - كما يبدو في التسمية - حيث يُنظر إلى الحرف الأخير في المادة، فيُجْعَلُ باباً، والحرف الأول، فيجعل فصلاً. والمعجم - بذلك - يحتوي على ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء، وكل باب يحوي ثمانية وعشرين فصلاً.

رائد هذه المدرسة هو الإمام أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الذي أوجد طريقة خالف بها كل من سبقه. فهو...سابق متفرد، ولا شك في سبقه وتفرد، لأنه ابتدع نظاماً بكرة سبق عليه غيره، ولحق به من جاء بعده.¹ وسبقه هذا، راجع إلى ثقافته، واحتكاكه الدائم بالعلماء، وعن طريق الرحلات التي كان يقوم بها.

لم يعتمد الجوهري على الحرف الأخير فحسب في ترتيبه للكلمات، (بل راح يدقق في الأمر متجاوزاً الحرف الأخير ناظراً إلى الحرف الأول، ثم انتقل إلى الحرف الثاني في الثلاثي، والحرف الثالث في الرباعي، والحرف الرابع في الخماسي، حتى استوى له الترتيب المحكم الدقيق والمجسد في معجم الصحاح).² ولسهولة نظام هذه المدرسة، نجدها قد لقيت رواجاً كبيراً في مجال التأليف المعجمي، لمن جاء بعد الجوهري. ومن أشهر أعلامها نذكر الصغاني (ت 650 هـ) صاحب معجم العباب،

¹ - إسماعيل بن حماد الجوهري، مقدمة الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ص 120.

² - الصوتيات، أبحاث الملتقى المغاربي الأول الدراسات الصوتية وقضايا المعجمية الأول، ص 57.

وابن منظور (ت 711هـ) في معجمه لسان العرب، ثم الفيروز آبادي (ت 817هـ) صاحب معجم القاموس.

ويعتبر النظام الجديد الذي أتى به الجوهري نضوجاً للمعجم العربي القديم؛ إذ لا نكاد نرى ممن ألفوا المعاجم بعده يضيف شيئاً على نظامه. وكل الذي قاموا به إضافة كلمات جديدة لم ترد فيه، نظراً لمواكبتها لعصر غير الذي ألف فيه الصحاح. تقوم مدرسة القافية في تنظيم معاجمها على الحرف الأخير في الكلمة، وتجعله باباً والحرف الأول، وتجعله فصلاً؛ ويعتبر الصحاح للجوهري أشهر معجم عربي حقق أمرين أساسيين من تأليف المعاجم؛ وهما التزام الصحيح من الألفاظ وتيسير البحث عن المواد.

وقد أشار إلى هذا المنهج في قوله: (أودعت هذا الكتاب مما صح عندي من هذه اللغة على ترتيب لم أسبق إليه وتهذيب لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين باباً وكل باب منها ثمانية وعشرين فصلاً على عدد حروف المعجم وترتيبها..)¹ فالجوهري، يصرّح بأنّ منهجه مخالف لمن سبقه من معجميين، وهو الملمح الصوتي البارز من خلال مقدمته. ولقد أشار إلى أنّ تقسيم معجمه قائم، حسب حروف الهجاء الثمانية والعشرين.

وقد اتبع هذه المدرسة الفيروز آبادي (ت 871هـ) في قاموسه، وابن منظور (ت 711هـ) في لسان العرب، والزبيدي (ت 1205هـ) في تاج العروس؛ ونظراً لصعوبة البحث في المعاجم التي اتبعت نظام التقليبات بنوعيتها الصوتية والأبجدية؛ أراد أصحاب مدرسة القافية تيسير البحث عن الكلمات، بابتكارهم لهذه الطريقة الجديدة. إذ يرون أنّ لام الكلمة _ وهو الحرف الأخير _ أقل تعرضاً

¹ - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، ج1، ص33.

للتغييرات من فاء الكلمة وعينها. وربما يكون هذا هو التفسير الصحيح لإتباع هذا النظام.

المنهج العام للمدرسة

أتباع هذه المدرسة يرتّبون الكلمات بحسب آخرها الأصليّ فيجعلونه باباً، والحرف الأوّل من الكلمة يجعلونه فصلاً، ومعنى هذا: أن لكلّ باب ثمانية وعشرين فصلاً. وعدد أبواب المعجم نظرياً: ثمانية وعشرون باباً، ولكنها تُفرد باباً واحداً للكلمات التي آخرها "الواو" و"الياء"، وتقدّم "الواو" على "الياء" في الفصول، حتى يمكن فصل اللفيف الذي وسطه "الواو" عن اللفيف الذي وسطه "الياء".

وترتّب المواد في الفصول وفقاً لحروفها الوسطى باعتبار الحروف الأصول وحدها في جميع هذه المراحل. وسبب لجوء المدرسة إلى هذا النهج؛ هو تيسير الأمر على الشعراء والكتّاب حتى يجدوا السجع وكلمات القوافي دون عناء¹، لضعف السليقة اللغوية لديهم. إضافة إلى غلبة السجع ونظم القوافي في عصر الجوهري ومن تبعه.

والأمر الثاني يكمن في الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية التي تثبت فيها "لام" الكلمة ولا تتغير مهما اختلفت صورة الكلمة إلا في حالات قليلة، بخلاف "العين" و"الفاء". وهذا ما ذهب إليه أحمد عبد الغفور عطار في "مقدمة الصحاح"².

الجوهري مبتكر منهج المدرسة

يعتبر الجوهري أول من أنشأ هذه الطريقة و فكر في وضع معجم شامل لها؛ من

¹ - ينظر: حسين نصار، المعجم العربي وتطوره، دار مصر للطباعة والنشر، ج2، ط2، 1968، ص484، بتصرف.

² - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار ساقى، ط4، 2001م، ص45، بتصرف.

خلال معجمه الصحاح. وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أنه قد سبق في هذا النظام بعالمين من علماء اللغة هما: (أبو بشر البندنجي (ت284هـ) في كتابه اللغوي (التقفية) وأبو إبراهيم إسحاق الفارابي خال الجوهري (ت350هـ) في كتابه (ديوان الأدب) وذلك حين اتبعا نظام القافية، فنظرا إلى الحرف الأخير في ترتيب المواد اللغوية¹ فإن البندنجي قد أهمل جزءاً هاماً من أسس هذه المدرسة، وهو النظر إلى الحرفين الأول والثاني، ونظر فقط إلى الحرف الأخير، كما أن كتاب التقفية هذا وكتاب ديوان الأدب لا يعدان من المعاجم اللغوية الشاملة بالمعنى الدقيق؛ فقد اقتصرنا على مواد قليلة جداً بالنظر إلى المعاجم اللغوية الأخرى.

ولذلك يمكننا القول بأن معجم الصحاح للجوهري (يعد أول معجم شامل اتبع نظام القافية هذا، وإن لم يكن من المستبعد أن الجوهري قد تأثر بهما في ترتيب المواد).² وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدل على مدى تأثير هذين المصدرين عليه، نظراً لأسبقيتهما عليه في الفترة التي ظهر بها.

ولقد اتبع كثيرٌ من أصحاب المعاجم؛ الجوهري في هذا النظام، من أهمهم الحسن بن محمد الصّغاني (ت650هـ) في معجمه (العباب الزاخر واللباب الفاخر) وابن منظور (ت711هـ) في معجمه (لسان العرب) والفيروز أبادي (ت816هـ) في معجمه (القاموس)، والزيدي (ت1205هـ) في معجمه (تاج العروس).

وفيما يلي دراسة لبعض تلك المعاجم.

1- أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ص50/49. وينظر مقدمة الصحاح، ج1، ص20.

2- عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص34.

تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري

كان الجوهري¹ إماماً في اللغة والأدب في عصره، وكلام الرواة عنه يدل على ما كان يتمتع به هذا العالم اللغوي من علم وذكاء وفطنة. يقول عنه ياقوت الحموي (إنه من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلماً² ". إنَّ الجوهري تلقى علومه على كثير من علماء اللغة، ومنهم خاله إبراهيم الفارابي (ت350هـ)، وأبو سعيد السيرافي (ت368هـ)، وأبو علي الفارسي (ت377هـ).

رحل الجوهري إلى الحجاز؛ رغبة في التزود من العلم، وشافه خُلص العرب، وطوّف ببعض القبائل العربية ك: ربيعة ومضر. وعاد بعد ذلك إلى خراسان بعدها عاد إلى نيسابور، وعكف فيها على التدريس والتأليف³. وقد تتلمذ على يديه كثير من أعلام اللغة كأبي الحسين بن علي، وأبي إسحاق إبراهيم بن صالح الوراق وغيرهما.

تسمية معجم " الصحاح "

إنَّ الاسم الموضوع لمعجم الجوهري هو (تاج اللغة وصحاح العربية). ولكنه اشتهر بعد ذلك _ اختصاراً _ بالصحاح. (قال أبو زكريا الخطيب التبريزي اللغوي

¹ - هو أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي المعروف ب: الجوهري. وأصله من فاراب إحدى بلاد الترك. ولد سنة 332هـ وتوفي سنة 398هـ على الأشهر. وللجوهري مؤلفات كتب غير الصحاح، منها (عروض الورقة) في علم العروض، وكتاب (المقدمة) في النحو. أما كتاب الصحاح فقد نال شهرة عظيمة ومكانة سامية بين علماء اللغة.

² - ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج6، ص152.

³ - جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح مجموعة أساتذة، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، ج1، ص98.

يقال كتاب الصَّحاح بالكسر وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال الصَّحاح بالفتح، وهو مفرد نعت كصحيح. وقد جاء فَعَال بفتح الفاء لغةً في فعيل كصحيح وصَّحاح، وشحيح وشَّحاح، وبريء وبرَّاء¹. والملمح الصوتي لكلمة الصحاح، هو أنَّ لها ضبطان أحدهما بكسر الصاد، والآخر بفتحها: صِحَّاح، وكل منهما صحيح، بحيث يَصِحُّ نطقها بأيِّ من المصطلحين. ولقد وضع الجوهري خطة سار عليها في وضع معجمه، لنا وقفة معها فيما هو آت.

منهج الجوهري في الصحاح

قدّم الجوهري منهجاً جديداً، خالف به المعجميين الذين سبقوه، وهذا المنهج يمكن توضيحه من خلال الأمور التالية: وهي إتباع نظام القافية؛ وذلك بجعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً. كما ترك نظام التقليلات، واتبع نظام الأبجدية العادية (أ ب ت ث ج ح . . إلخ)

والثاني، قام بتقسيم كل باب إلى فصول حسب أوائل الكلمات، فمثلاً باب الهمزة يبدؤه بفصل الهمزة ثم بما يليه من حروف حتى ينتهي إلى الياء، ثم ينتقل إلى باب الباء فيبدؤه بفصل الهمزة وما يليه وهكذا. . .

وليس ضرورياً أن يكون لكل باب ثمانية وعشرون فصلاً؛ ولكن ذلك مرتبط بوجود الألفاظ المستعملة أو عدم وجودها؛ ولذلك فإن بعض الأبواب اكتمل فيها هذا العدد من الفصول، كما أن بعضها لم يكتمل.

وقد رتب كل فصل بحسب ما يليه من الحروف؛ أي أنه راعى الحروف المتوسطة بين الحرف الأخير الذي جعله باباً، وبين الأول الذي جعله فصلاً؛ فنظر إلى الثاني

1_ جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 1، ص 97.

إذا كانت الكلمة الثلاثية، وإلى الثاني والثالث إذا كانت رباعية، وإلى الثاني والثالث والرابع إذا كانت خماسية.

كما أنّ الجوهري اقتصر على جمع الألفاظ الصحيحة، واعتنى بضبط المفردة عناية دقيقة؛ خوفاً من التحريف والتصحيف. إضافةً إلى وضعه لقواعد خاصة في ضبط الأسماء والأفعال.

وما يلاحظ أيضاً عن المنهج الذي اعتمد الجوهري أنّه (..أكثر من القواعد النحوية والصرفية مشيراً إلى الشاذ منها؛ مع الإشارة إلى اللغات المختلفة في اللفظ الواحد).¹ كما اعتنى أيضاً بالتنبيه على المعرّب من الألفاظ. وإرجاع المواد إلى أصولها وذلك بتجريدها من الزوائد، وردّ المقلوب إلى أصله، وإذا كانت جمعاً أرجع إلى المفرد، وهكذا. فمثلاً كلمة (كتب) يبحث عنها في باب الباء فصل الكاف، وهي متأخرة في الترتيب عن كأب، وكب، متقدمة على كتب، وكذب، وكرب، وبقية مواد الفصل، وهكذا مع ملاحظة أن الجوهري قدم الواو على الهاء في ترتيبه.

الميزات الصوتية في معجم الصّحاح

لقد ذلّل المعجم صعوبتين اثنتين اعترضتا كتاب العين وجمهرة اللغة، وهما صعوبة البناء الكمّي والنوعي الذي كان أساساً لا غنى عنه في تدوين المعجم بتبويبه بحسب حروف المادة الأصلية، على النحو المعروف (ثنائية، ثلاثية، رباعية) وبحسب نوع الحرف (سالمة ومعتلة) والثانية؛ الحيرة في ترتيب المواد وفقاً للمنهج

¹ - عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، شبرا، ط1، 1981، ص94، بتصرف.

السابق؛ ذلك لأنّ جمع مشتقّات المادة الواحدة وحشدّها في موضع واحد وإيرادها بحسب أسبقية الحروف الأبجدية أو الصوتية جعل الأمر عسيراً جداً، (.. بالمقابل قام الصحاح على أساس واحد فقط هو تقسيمه أبواباً بحسب عدد حروف الهجاء)¹، وهو الملح الصوتي البارز هنا، بحيث رتب مادته وفق الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية. ومن مميّزاته أيضاً ضبط الكلمات درءاً للتصحيف.

مآخذ عن معجم الصحاح

سُجّلت عن الصحاح ملاحظات كثيرة، فذكر منها كثيراً ولكنها تعد هنات صغيرة؛ بالنظر إلى ما في هذا المعجم من ميزات. ثم إن تلك المآخذ لم تؤيد إلا بأمثلة قليلة ونادرة، بل ربما لا نجد إلا مثلاً واحداً ذكره الدارسين أحياناً لبعض المآخذ.

ومما ذكر من ذلك، أمور عدّة يمكن اختصارها في: (نسبة الأقوال إلى غير أصحابها، وغلطه في ترتيب المواد واشتماله على أخطاء نحوية، وصرفية...) ². إضافة إلى غياب الدقة في نقل أقوال العلماء واضطرابه في نسبة الأحاديث النبوية إلى رواتها. وهذه مآخذ قليلة وليست بمطردة، وإنما المآخذ التي ينبغي الوقوف عندها أمران أولها؛ الاقتصار على الصحيح من الألفاظ مما سبب إهمال بعض المواد الصحيحة. ومن نبه إلى ذلك الفيروز أبادي في مقدمة معجمه القاموس. والتصحيف الذي رواه عن كثير من العلماء.

¹ - رفاه سراج محمود جوهرجي، الاحتجاج بالشعر في معجم الصحاح للجوهري، رسالة ماجستير،

أشر: عبد الله محمد مسلمي، المملكة العربية السعودية، ص23. وينظر: محمد بن إبراهيم الحمد، فقه

اللغة: مفهومه _ موضوعاته _ قضاياها، ص353.

² - ينظر: إبراهيم نجاء، المعاجم اللغوية، ص113 فما بعدها، ومقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار

وقد أفرد السيوطي في المزهري باباً سماه (ذكر ما أخذ على صاحب الصحاح من التصحيف). وذكر ممن أخذ على الجوهري ذلك (الأزهري، والتبريزي، وأبو سهل الهروي، ومع ذلك فلا يسلم لكل واحد من هؤلاء في مآخذة؛ لأن الغلط قد يكون منهم لا من الجوهري)¹ فالسيوطي يقرّ بأنّ للجوهري بعض الأغلاط في معجمه؛ لأنه لا يمكن أن يخلو أيّ عمل من النقص، ولكنها ليست سبب الغلط الذي كان بالمؤلفات سابقة الذكر في النص.

وقد نجد كذلك، وقوع أصحاب المعاجم في أخطاء عند شرح المادة اللغوية، ولقد ألّفت كتب عدّة تنبه على هذا قديماً وحديثاً، من بينها: (التنبيه والإيضاح لابن بري). والتنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني. هذا قديماً أمّا في الحديث فمما ألف فيها نذكر منها تصحيحات لسان العرب لأحمد تيمور)² فمثل هذه المصنفات وغيرها كثير؛ تدل على أنّ المعاجم العربية لاقت اهتماماً واسعاً من طرف الدارسين لها؛ فالوقوع في خطأ شرح المادة اللغوية قد لا يتنبه له المعجمي، ومن أمثلة هذه الأخطاء، قول الجوهري: (.. ويقال للجلدة التي بين العين والأنف: سالم، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ابنه سالم: يُديرونني عن سالم وأريغُهُ وجلدُهُ بين العين والأنف سالم)³ وقد عقّب الصغاني بأنّ هذا غلط، وذلك بقوله: (.. قد تبع خاله الفراء في أخذ اللغة من معنى الشعر).⁴ حيث أنّ هذا البيت قاله عبد الله بن عمر في ابنه سالم، وقد جعله لمحبهته بمنزلة

1_ ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهري، ج 2، ص 390-394، بتصرف. وينظر: عبد الحميد محمد أبو

سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ص 96-99.

2- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 262.

3- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 5، ص 1952.

4- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 262.

الجلدة التي تقع بين العين وأنف، وقد أسقط الجوهريّ، هذا الاسم على الجلدة التي بين الأنف والعين في معنى مفردة سالم في معجمه. إضافة إلى هذا قد يقع كذلك في نوع من الشرح المعيب للكلمات، والذي يكون بغموض العبارة المقدمة لتعريف لفظ غامض بلفظ غامض آخر؛ حيث يصعب على الباحث فهم المقصود من الصيغة المشروحة. ومن أمثلة هذا (النثور النيلج. وقد شرحه الجوهري بقوله: وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضر).¹

وبعد الحديث عن الصحاح، ننتقل إلى معجم آخر من معاجم مدرسة القافية، وهو "لسان العرب" لمؤلفه ابن منظور.

معجم لسان العرب

لابن منظور

يعد ابن منظور* من أبرز المعجميين في القرنين السابع والثامن الهجريين؛ فقد كان عالماً بالنحو، واللغة، والتاريخ، والحديث، والفقه². ويقال إنه ترك كتباً من

¹ - اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، ص263.

* ابن منظور هو أبو الفضل جمال الدين عبد الله: محمد بن مكرم بن علي ابن أحمد بن أبي القاسم بن منظور الأنصاري الخزرجي الإفريقي المصري، المعروف بابن منظور. ولد سنة 630هـ في القاهرة وقيل في طرابلس. وأجمع المؤرخون على أنه كان محدثاً فقيهاً عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وولي قضاء طرابلس، ثم عاد إلى مصر وبها توفي عام 711هـ.

² - عمر موسى باشا، لسان العرب، المعجم اللغوي العربي الكبير في التراث العربي، مقال بمجلة التراث العربي، ص47، بتصرف.

تأليفه بلغت خمسمائة مجلد، عدا ما ينسخه من كتب الأقدمين (.. وقد اختصر كثيراً من كتب الأقدمين كالأغاني، ومفردات ابن البيطار، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وقد تلقى.. علومه عن كبار القرن السابع الذين كان لهم فضل كبير في تعليمه.)¹ أمّا عن هدفه من تأليف لسان العرب، فينحصر في: تأليف معجم كبير يجمع كل المحاسن الموجودة في كتب اللغة. مع تفادي ما في المعاجم السابقة من عيوب؛ باعتماد طريقة في جمع مواد اللغة بصورة تشجع الناس على معرفة العربية، وإتقانها والوقوف على أسرارها الجمالية.

المنهج العام لابن منظور في معجمه

يعتبرُ لسان العرب من أشمل وأشهر معجمات اللغة العربية للألفاظ في العصور المتأخرة، نهج في ترتيبه على نهج الجوهري في الصحاح، باعتماد الترتيب الهجائي للحروف بانياً أبوابه على الحرف الأخير من اللفظة، وقد جمع فيه بين : تهذيب اللغة للأزهري و المحكم لابن سيده ، والصحاح للجوهري ، وحواشي ابن بري على الصحاح، والنهاية في غريب الحديث لعز الدين ابن الأثير.

وأخطأ بعضهم فجعل خامسهم الجوهرة لابن دريد، مع أنه رجع إليها كثيراً في مواده وإن كان غالب نقله عن الأزهري عنها. ولعلّ الصواب أن (الجوهرة ليست مما جمعه بل مبنى كتابه على الخمسة فقط وهي التي صرح بأسمائها في خطبته.)² وقد تقصر القراءة الأولى لمواد اللسان عمل ابن منظور على الجمع بين موادّ هذه المعاجم وأنه الجهد الوحيد له فيه، ولعلّ الحامل على هذه النظرة

¹ - نفسه، ص47.

² - أحمد تيمور، تصحيح لسان العرب، مطبعة الجمالية، مصر، ط1، 1334هـ، ج1، ص02.

أخذ ما في هذه المصادر الخمسة بالنصّ غالباً دون الخروج عليها متبرأً من تبعة أية أخطاء محتملة بأن ما قد يقع في الكتاب من خطأ هو من الأصول قال رحمه الله : (ولا أدعي فيه دعوى فأقول : شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت أو شددت الرحال أو رحلتُ أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيدة لقائل مقالا ، وليس في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، أو وسيلة أتمسك بسببها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم وبسطت القول فيه ...)¹ فنجد ابن منظور، يصرّح في مقدمة معجمه، أنّه نقل عن سابقه نقلاً تاماً، ويعدد المعاجم التي نقل منها؛ ما أدى به إلى الاكتفاء بالمادة التاريخية الموجودة بالمعاجم القديمة، بدلاً من إضافة وجمع لمادة لغوية فصيحة معاصرة له.

مقدمة لسان العرب

صدّر ابن منظور اللسان بمقدمة غير قصيرة افتتحها بالتحميد والتهليل، ثم بيّن شرف اللغة العربية وارتباطها بالقرآن الكريم، وعن هذا يقول: (... فإنّ الله سبحانه وتعالى كرّم الإنسان وفضله بالنطق على سائر الحيوان وشرف هذا اللسان العربي بالبيان على كل لسان، وكفاه شرفاً أنّه به نزل القرآن..)² ثم نقد بعد ذلك التهذيب، والمحكم، والصحاح.

وانتقل بعد التقديم إلى ذكر سبب تأليف معجمه، والذي يتمثل في أنّه وجد من سبقه على أمرين يقول عن هذا: (.. ورأيت علماءها بين رجلين: أمّا من أحسن

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص08.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص07.

جمعه فإنّه لم يحسن وضعه وأمّا من أجاد وضعه فإنّه لم يجد جمعه..¹ ويقصد بذلك أنّه أراد الجمع بين صفتي الاستقصاء والترتيب؛ التي اختلف الذين من قبله حولها بين من أحسنوا الوضع؛ ولكنهم أساءوا الجمع.

كما كشف عن أهم المصادر التي اعتمدها في تأليف معجمه، وهي كالتالي: تهذيب اللغة للأزهري ت370هـ، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت458هـ، والصحاح للجوهري ت398 هـ، وحواشي ابن بري ت571هـ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ت906هـ.

ولقد خص ابن منظور معجمه بباين، الأول في تفسير الحروف المقطعة في أول سور القرآن الكريم، والثاني في ألقاب حروف المعجم وطبائعها وخواصها. وعن هذا سيكون حديثنا.

باب ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها

قدّم ابن منظور في هذا الباب تعريفاً لصفتي الجهر والهمس؛ حيث قال عن ألقاب الحروف: (..المجهور من الحروف أنه لزم موضعه إلى انقضاء حروفه، وحبس أن يجري معه، فصار مجهوراً لأنّه لم يخالطه شيء يغيّره...ومعنى المهموس منها أنّه حرف لان مخرجه دون المجهور في رفع الصوت..)² فابن منظور، حين قدم تعريفه هذا عن الجهر والهمس، أحسّ بشيء من التردد أو الصوت المنبعث من الحنجرة، فاعتمد عليه في تقسيمه الأصوات إلى مجهورة ومهموسة مع عدم معرفته للوترين الصوتيين.

¹ - نفسه.وينظر: شوقي ضيف، عصر إحياء التراث العربي وتحديدده، مقال بمجلة " المجلة"، ص11،

العدد112.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص13، باختصار.

وقد ذكر المحدثون أن القدماء أغفلوا أوضاع الوترين الصوتيين في حدوث الجهر والهمس، (والملاحظ أن لغويي العرب قد تكلموا عن ظاهري الجهر والهمس، كما تكلموا عن المجهور والمهموس من الأصوات. ولكنهم في مناقشتهم لم يسيروا إلى الأوتار الصوتية، ولم يعتمدوا على أوضاعها في تحديد الجهر والهمس)¹ فالملح الصوتي كما نرى؛ أن تعريفاتهم "للجهر والهمس" لم تعتمد أجهزة ولا مخابر تثبت صحتها، ولذلك جاءت تتسم بالصعوبة والتعقيد إلى حد أنه ليس من السهل التعرف بدقة على مقاصدهم.

أما عن مفهوم الجهر والهمس في الدرس الصوتي الحديث، فهو (أن يتحرك الوتران الصوتيان أثناء إصدار الصوت، وذلك بتأثير الهواء القادم من الرئتين على الأوتار فتتهتز، فيحدث الصوت، ويتولى الحلق والتجاويف الأنفية والفموية أمر تضخيمه وترخيمه)² وعليه فالصوت المجهور، هو الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان اقتراباً يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز أثناء النطق به، والهمس عكس الجهر.

بعد ذلك ينقل ابن منظور حديث الخليل حول عدد حروف العربية ومخارجها، ويقول: (وقال الخليل بن أحمد حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاح، لها أحياء ومدارج..)³ بحيث نقل حديث الخليل الوارد في مقدمة العين كما جاء فيها.

¹ - كمال بشر، علم اللغة العام، ص 88.

² - محمد التنوخي، المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ج 1، ص 253. وينظر: محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1996، ص 62.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 13.

أمّا عن تعامل ابن منظور مع الصيغ،¹ في كتابه "لسان العرب"؛ فيتمثل في أنّه جرّد الكلمات من الزوائد، وأرجعها إلى أصولها شأنه في ذلك شأن جميع أصحاب المعاجم. واتبع مدرسة القافية في نظامها؛ فجعل الحرف الأخير من الكلمة باباً، والأول فصلاً، شأنه بذلك شأن الجوهري إلا أنه قدم الهاء على الواو. واستشهد بالقرآن، والحديث، ومأثور كلام العرب. واعتنى بلغات العرب وجمع ما تفرق في المعاجم الأخرى.

أمّا عن مميزاته² فيمكن إيجازها في أنّه اتبع نظام القافية، وهو أيسر من نظام التقليلات، كما توسع في شرح المواد وما تفرع منها من ألفاظ؛ حتى يقال: إنه احتوى ثمانين ألف مادة، في حين أن الصحاح احتوى أربعين ألفاً، والقاموس ستين ألفاً.

اعتنى لسان العرب بنسبة الأشعار إلى أصحابها، حتى إنه ليُعَدّ مرجعاً مهماً في ذلك. هذا إلى جانب اهتمامه بلهجات العرب، وبتوجيه القراءات. كما أنّه اهتم بذكر بعض القواعد الصرفية و النحوية.

مآخذ على لسان العرب

لا شك أن الاتساع الكبير في شرح مواد اللّغة الذي لجأ إليه ابن منظور في كتابه لسان العرب، أدّى إلى وقوعه في بعض المآخذ، التي يمكن إيجازها في العناصر التالية، والمتمثلة في: (التكرار في شرح بعض الألفاظ، وفي ذكر الشواهد.

3- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص49.

2- ينظر، نفسه، ص51، بتصرف.

إضافة إلى إهماله لكثير من المعاني بالرغم من رجوعه إلى كثير من المصادر.¹ كما تذكر بعض الدراسات على وجود مصنفات معجمية كانت قبله، إلا أنه لم يستطع الاستفادة منها من مثل معجم مقاييس اللغة؛ وبالتالي ضيّع الكثير من الصيغ والشواهد التي ذكرت في كتاب العين، والجمهرة، والبارع، وغيرها من المعاجم. ونجد أيضاً في معجم اللسان نوعاً من خلط الأسماء بالأفعال، والثلاثي بالرباعي؛ ومن أمثلة ذلك مادة (ظفر)؛ إذ قال ابن منظور: (ظَفِرُهُ وظَفَرُهُ وظَفْرُهُ وظَفْرُهُ غرز في وجهه ظفره)² ثم يذكر بعد ذلك (ظَفِرَ به وعليه وظَفِرَهُ و أَظْفَرَهُ الله به وعليه وظَفْرَهُ به)³ ولذ كان على من يريد الكشف عن كلمة، أن يراجع المادة كلّها؛ ولا يكتفي بمصادفتها في مكان واحد.

أخذُ المادة من المعاجم السابقة، هي أيضاً ظاهرة؛ تكاد تكون منتشرة في جميع المعاجم العربية. ونجد ابن منظور، يصرح بالأخذ من المعاجم السابقة. ومن ذلك قوله في مقدمة معجمه، أنه نقل عن سابقيه نقلاً تاماً، ويعدد المعاجم التي نقل منها؛ فيقول: (وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها... سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب).⁴ ومثل هذا، ينطبق على كل من تهذيب اللغة، والصحاح، والقاموس وغيرها. وما يؤخذ عن هذا الاعتماد على الأعمال المعجمية السابقة، يتمثل في الاكتفاء بالمادة التاريخية الموجودة بالمعاجم القديمة، بدلاً من إضافة وجمع لمادة لغوية فصيحة معاصرة لهم. (وذلك لأنّ المعاجم القديمة اعتمدت

¹ - عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ص 104.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ع 1، سط 15، ص 518.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ع 2، سط 4، ص 519.

⁴ - نفسه، ج 1، ص 8.

على لغة الشعر والخطابة، إذ لم يكن هناك سواها¹؛ لكن اعتماد المتأخرين عليها أيضاً، أدى بهم إلى التأخر عن الركب الحضاري الذي برزوا فيه، وبهذا لم تسجل لنا هذه المعاجم الجديد في مختلف العلوم لكل عصر.

ويبقى معجم لسان العرب من المعاجم التي تفخر بها العربية، ولا يستغنى عنه بغيره. ولكنه توالى من بعده مؤلفات عدة في الحقل المعجمي، منها "القاموس" لصاحبه الفيروز آبادي، الذي سنتعرض له بالدراسة.

معجم قاموس المحيط للفيروز آبادي¹*

الفيروز آبادي من كبار اللغويين الذين يُرجع إليهم حل النزاع عند الاختلاف، وقد اشتهر كتابه " القاموس " - ومعناه البحر - إلى حد أنه ظنَّ أنَّ كل معجم لغوي يطلق عليه قاموس؛ وممن شرحه المرتضى الزبيدي في تاج العروس. وقد رتبته بحسب الحرف الأخير من المادة على حروف الهجاء باسم "باب"، ثم بحسب الحرف الأول من المادة فصلاً ضمن هذا الكتاب.

منهج القاموس

¹ - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص262. وينظر؛ سعاد بسناسي، منهجية أحمد مختار عمر في بناء معجم اللغة العربيّة المعاصرة، مقال بمجلة الصّوتيات، جامعة سعد دحلب البليدة، في الملتقى الدّولي حول التّأليف المعجميّ، بين الرّاهن والمؤمّل، أفريل، 2010.

² - هو أبو طاهر مجد الدين الفيروز آبادي محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي اللغوي المعروف ب: الفيروز آبادي. كانت ولادته سنة 729هـ بعد وفاة ابن منظور بثمانية عشر عاماً. له مؤلفات عديدة غير القاموس منها: (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) و(تحبير الموشّين فيم يقال بالسين والشين) و (الإشارات إلى ما في كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات)، وغير ذلك من الكتب في الفقه والحديث، والتفسير، والتراجم.* ينظر: منال أبو بكر سعيد باوزيراش، ألفاظ الأمراض في القاموس المحيط للفيروز آبادي، رسالة ماجستير، إشراف محمود فراج، 1428هـ.

انفرد معجم القاموس عن غيره من المعاجم السابقة بمجموعة من العناصر؛ يمكن إيجاز ذلك في أنّه أرجع الكلمات إلى أصلها؛ وذلك أثناء البحث عن معناها داخل معجمه، إضافة إلى إتباعه نظام القافية وهو أساس المدرسة. قسم الفيروز آبادي معجمه إلى سبعة وعشرين باباً، ثم قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً، نظر فيها للحرف الأول من المادة الأصلية، وهو الملمح الصوتي عنده؛ لكنه قد لا تصل بعض الأبواب إلى هذا العدد من الفصول، بل يسقط أحياناً بعض الأبواب حسب ما هو موجود في اللغة.

مقدمة القاموس

افتتح الفيروز آبادي، وعلى عادة المتقدمين في تأليفهم لا سيما أهل الحديث والأثر منهم، مقدمته بالبسملة والحمد والثناء على الله، والصلاة على نبيه، بعد ذلك انتقل للحديث عن الهدف من تأليفه لمعجمه "القاموس"؛ وهو جمع اللغة في كتاب (.. محذوف الشواهد، مطروح الزوائد، معرباً عن الفُصح والشوارد).¹ فأراد بذلك أن يخلص العربية من كل ما يشوبها من شوائب، كان يراها قد أرست دعائمها بها. أراد في بادئ الأمر؛ أن يضع معجماً لغوياً ضخماً يغني عن سابقه، وفي هذا يقول: (.. شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلم العجّاب، الجامع بين المحكم والعباب، فهما غُرتا الكتب المصنفة في هذا الباب..)² قدر له نحو ستين سفرّاً أو أكثر واختار له اسم (اللامع المعلم العجّاب، الجامع بين المحكم والعباب) ففي رأيه أن

¹ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1،

1301هـ، ج1، ص3.

² - نفسه، ج1، ص3.

المحكم لابن سيده، والعباب للصغاني هما خير ما ألف في هذه الناحية، ولكنه بعد أن أتم خمسة مجلدات من المعجم رأى أن يحجم عن إتمامه؛ رغبة في وضع كتاب مختصر يفيد الدارسين وهو ما سمي بـ (القاموس المحيط) الذي ضمنه — كما قال — خلاصة ما في العباب والمحكم مضافاً إليها زيادات جاء بها، بعد تعمّقه في بطون كتب اللغة الفاخرة.

وحسب ما جاء في المقدمة، فلقد راعى الفيروز أبادي الاختصار؛ لتسهيل البحث في معجمه، ومن مظاهر ذلك تعامله الصرفي مع الصيغ؛ بحيث ذكر في مقدمته كيفية تعامله مع الصيغة الإفرادية، وهي عنده قسمان : حدثية وذاتية. فبالنسبة للصيغة الذاتية فقد مثلها بحدِيثه عن كيفية التفريق بين صيغة المذكر والمؤنث، نحوه يقول: (..أني إذا ذكرت صيغة المذكر أتبعها المؤنث، بقولي "وهي بهاء" ولا أعيد الصيغة..)¹ فعند شرحه لكلمة ما يحاول ذكر مؤنثها، ولا يعيد الصيغة مرة ثانية وإنما يكتفي بقوله وهي بالهاء، إشارة إلى التأنيث. وهو ملمح صوّتي بارز؛ حيث أشار إلى كيفية تغير معنى الصيغة، بمجرد إدخال صوت آخر عليها، وذلك في تعامله مع الأفعال بحيث يميز بين الصيغتين بصامت "الهاء".

بعد ذلك ينتقل للحديث عن الصيغة الحدثية أي (الفعل)، والفعل في مفهومه العام هو ما دلّ على الحركة، وهو كما يراه الصرفيين يختص بالوزن، و يُعرّف بأنّه: (..مقابلة صوامت الصيغة الإفرادية الثلاثة بصوامت متفق عليها بينهم وهي: الفاء.. العين.. اللام).² ولقد كان من وراء هذا العمل قصد عند الصرفيين، وهو

¹ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 4.

² - ينظر: مكّي درار، المحمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص116، بتصرف.

العناية بالصامت الوسط من الصيغة الحديثة، والذي يقابل عين الفعل نظراً لما يلحقها من تغيير أثناء تصريفها.

ولقد أورد الفيروز آبادي حديثاً عن الصيغة الحديثة بقوله: (وإذا ذكرت المصدر مطلقاً أو الماضي بدون الآتي ولا مانع فالفعل على مثال كتب، وإذا ذكرت آتية بلا تقييد فهو على مثال ضرب)¹ ويشير الفيروزآبادي هنا إلى أنه إذا ذكر الماضي مقيداً بوزن معين فإنه يكون كما ذكره؛ أمّا إذا ذكر الماضي مع المضارع دون تقييد في ضبطه كان على وزن (فَعَلَ).

ثم ينتقل للإشارة إلى عين الفعل، والتغيرات التي تلحق بها إذا صرفت في الماضي أو المستقبل؛ فيقول: (..على أيّ أذهب إلى ما قاله أبو زيد إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فَعَلَ فأنت في المستقبل بالخيار إن شئت قلت يَفْعَلُ بضم العين. وإن شئت قلت يَفْعَلُ بكسرهما..)² فاهتمامه كان بماضي الأفعال التي هي على وزن "فَعَلَ".

فهو يقدم الصور الممكنة التي تأتي عليها؛ والملمح الصوتي المستخلص من حديث الصيغ الحديثة، هو كيف يؤثر الصائت على الصيغة، فيغيّر معناها في حالة الإفراد، ودلالاتها في حال التراكيب، إضافة إلى أن الفعل الثلاثي المجرد يتميز بكثرة أبوابه؛ بحيث له ستة أبواب نتيجة تقابل ثلاثة أبنية في الماضي وثلاثة أبنية في المضارع.

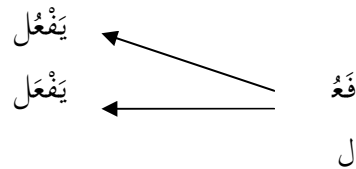
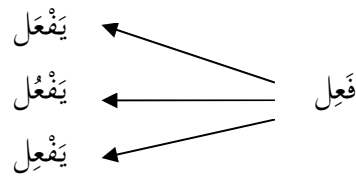
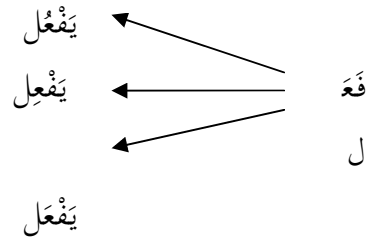
أهمية الصوائت في تغير معاني الصيغ الصرفية الحديثة

¹ - محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 4.

² - محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص4.

للفعل الثلاثي المجرد مشكلات عديدة، وهي تبرز كثيراً (بوضوح عند طلاب الصرف في درس الميزان الصرفي¹) وبالنظر إلى الفعل الثلاثي المجرد نلاحظ أن صوره المستخدمة؛ ثلاث في الماضي وثلاث في المضارع؛ إلا أنه بتقابل الماضي والمضارع تكون الصور الافتراضية ناتجة عن الإمكانيات الرياضية $9=3 \times 3$ ويمكن توضيح هذا من خلال المخطط التالي: ²

مخطط توزيع الصوائت الأصلية على عين الماضي للصيغة الحديثة.



¹ - أبو أوس إبراهيم الشمسان، أخطاء الطلاب في الميزان الصرفي، ص 154-157، بتصرف.

² - نفسه، ص 154، وبتصرف.

يَفْعَلُ ←

تعليق:

توزع كل صيغة بحسب حركة العين إلى ثلاثة أشكال، وهذا التوزيع يعرف بـ "القلب اللغوي" (وهو الميزان المبني على أساس التوزيع في الماضي والتنويع في المضارع؛ ثم محاولة إظهار ماهو موجود مما هو منعدم من التوقعات).¹ فالتوزيع في الماضي يقوم على أساس حركات الإعراب، الضمة والفتحة والكسرة. والتي تعرف في الدرس الصوتي بـ "الصوائت"؛ بحيث توزع بحسب ما يقابلها من صوامت الصيغة الحديثة، مما يؤدي إلى تنويع المضارع، الذي يدرك من خلال الاحتمالات الموجودة أو المتولدة عن كل صيغة.

نبدأ بأول صيغة (فَعَلَ) ولها ثلاثة احتمالات، المستعمل منها صيغتان الأولى (يَفْعَلُ) ولها عدّة أمثلة من مثل: يَخْرُجُ، يَأْكُلُ؛ ولقد جاءت مخالفة للماضي في كل مكوناته. والثانية (يَفْعَلُ) من مثل يَجْلِسُ، ولقد جاءت مخالفة للماضي، ويقال أنّها جاءت على الأصل. أمّا الصيغة الأخيرة (يَفْعَلُ) فليس لها ما يقابلها من صيغ حديثة، ولقد جاءت على غير الأصل الذي يقتضي مخالفة المضارع للماضي، وبرهان ذلك عند الصرفيين (كل فعل كانت عينه أو لامه حرف حلق تفتح عينه في الماضي والمضارع)² وتبرير هذا، أنّ الأصل في حروف الحلق الثقل حتى يسهل نطقها، لا بد من المجيء بالفتحة.

¹ - مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص118.

² - مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص121.

نتقل للصيغة الثانية (فَعِلَ) وهي الأخرى لها ثلاثة احتمالات، المستعمل منها صيغتان الأولى (يَفْعَلُ) نحو (فَرَحَ). والثانية (يَفْعُلُ) فلا يكاد نجد لها مثال حيث أنه لم يوجد لها مثلاً مستعملاً في العربية إلا صيغتا (..نَعِمَ يَنْعُمُ،...) ¹. والصيغة الأخيرة (يَفْعِلُ) ليس لها مقابل.

ونأتي إلى آخر صيغة؛ وهي (فَعُلَ) والتي لم تحقق أي احتمال؛ (.... من باب الاحتمال مثالان في المضارع؛ واحد مفتوح العين ولم نعثر له على مثال، والثاني مكسور العين، ومثاله في الاستعمال منعدم). ² فهذه الصيغة لا نجد لها مثلاً من الصيغ الحديثة المستعملة.

وبدراسة الصور الافتراضية الممكنة والمستعملة نلاحظ أن (فَعِلَ) لا يقابله في المضارع إلا (يَفْعَلُ) وبالنظر إلى عين المضارعة، نجد أنه لا مانع صوتي من مجيء المضارع مضموم العين أو مكسورها؛ إلا أن العلماء يجعلون ما جاء مضموم العين في مضارع (فَعِلَ) من باب تداخل اللغات. ³ وأما مكسور العين في مضارع (فَعُلَ) فهو شاذ.

مآخذ على القاموس

لعل أحسن ما كتب في المآخذ عن هذا المعجم ما ذكر بمؤلفات الدارسين؛ فقد ألف أحمد فارس الشدياق (1804م — 1887م) كتاباً سماه: (الجاموس على القاموس) ذكر فيه مآخذ كثيرة عن القاموس المحيط، رغم اعترافه بأنه صاحب الفضل عليه في دراسة اللغة العربية والتبحر فيها، (ولكن الأمانة العلمية هي التي دفعته لإبراز ما في

¹ - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، ص374.

² - مكّي درار، المحمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص120.

³ - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص39-40. و ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج 7، ص154.

هذا المعجم من مآخذ بعد دراسته دراسة متأنية¹. ويمكن إجمال أهم تلك المآخذ في أنّ الفيروز أبادي، أغفل التنبيه على الفصح وغيره، وأسماء اللغات وأصحابها، كما أغفل التنبيه على أصحاب اللهجة وخاصة حمير².

بالإضافة إلى عنصر الإبهام؛ فعبارة القاموس مبهمة في كثير من المواضع، وخاصة في المصدر والفعل؛ فالفيروز أبادي كثيراً ما يستغني عن ذكر الفعل بذكر المصدر، ويعطف عليه أسماء جامدة (.. فيعز على المطالع أن يميز بينها، فيظن أنه اسم، والاسم لا يستلزم أن يكون له فعل بخلاف المصدر؛³ فكان الأولى أن يعبر بالفعل؛ لأنه لا يلتبس بصيغة أخرى.

كما أنه لم يتبع نظاماً صحيحاً في ذكر معاني الألفاظ، ولم يكن يُعرّف اللفظ بالمعنى المجهول دون الشائع، بالإضافة إلى قلة الترتيب في ذكر المشتقات؛ فكان يخلط بين الأسماء والأفعال، ولا يفصل المجرد عن المزيد؛ مع إغفاله للأضداد، وإهماله ذكر القلب، والإبدال وهي تلوينات صوتية؛ لها وظيفة وأهمية في التراكيب اللغوية.

1_ أمين محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ص 77_78.

2_ ينظر، أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، دار صادر بيروت، ص 130-131، بتصرف.

3_ ينظر: عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ص 109. و ينظر: أمين

محمد فاخر، دراسات في المعاجم العربية، ص 78_79.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الفسيحة في أبعاد الدرس الصوتي، وفي أرجاء الحقل اللغوي المعجمي؛ يجدر بي في خاتمة المطاف أن أضع أبرز النتائج التي يسرها البحث.

كان الفصل الأول بعنوان المدرسة الصوتية، والتي كان رائدها الخليل بن أحمد الفراهيدي مبتكر الدرس الصوتي العربي؛ في حقل المعجمية، وذلك من خلال معجمه العين الذي لم تكن غايته فيه جمع لغة العرب في كتاب واحد مع تسهيل الوصول إلى اللفظة المرادة فحسب، بل كان يهدف بابتكاره لنظام التقاليب الجديد الذي جاء به، للوصول إلى فوائد كثيرة كحصر مواد اللغة وبيان المهمل والمستعمل منها.

ولبلوغ غايته، ابتكر الخليل فكرة "ذوق الحرف"، والتي من خلالها استطاع أن يضع كل صوت بمخرجه الخاص به.

أمّا عن المعاجم التي جاءت من بعده فقد انقسمت بين متبع لنظام الخليل في معجمه العين، وبين مبتكر لنظام جديد. فمن الذين اتبعوا الخليل؛ والتزموا منهجه الذي جاء به، الأزهري والقيالي، فبالنسبة للأزهري حذا حذو الخليل في طريقته للتبويب والتقسيم، أمّا القالي فقد انفرد ببعض الخصائص لديه، وتكمن نقط الاختلاف مع الخليل في سعة الاستشهاد بالشعر وضيقة، وكيفية الاتيان بأسماء البلدان والأماكن وما شابه ذلك، إلاّ أنّ كلاهما يصنفان من أعلام هذه المدرسة الصوتية.

أمّا في ما يخص المدرسة الثانية؛ مدرسة النظام الألفبائي، فلقد آثر بعض أعلامها من أخذ فكرة التقلاب عن الخليل، مع طرحهم للنظام الصوتي الذي جاء به؛ منهم ابن دريد الذي ابتكر نظام التقلب الألفبائي بحسب منهج المدرسة، إضافة إلى ابن فارس الذي تأثر ببعض الأسس التي قام عليها معجم العين، إلّا أنّه لم يخضع للترتيب الصوتي لذلك تكاد تنعدم الملامح الصوتية من مقدمة كلا معجميه الخاضعين للدراسة.

ولا يخفى علينا، أنّ ابن فارس لم يرتّب كتابه (معجم مقاييس اللغة) على أوائل الحروف وتقليبها كما صنع ابن دريد في الجمهرة، وكذا لم يتّخذ منهج الخليل أصلاً؛ وإن لم ينكر أنّه قد اعتمد العين وكتّابي أبي عبيدة (غريب الحديث)، و(المصنف الغريب)، وكتاب (المنطق) لابن السكّيت، و(الجمهرة) لابن دريد فيما استنبطه من مقاييس اللغة.

آخر هذه المدارس، هي التي تنظر إلى الحرف الأخير من الكلمة وتجعله باباً، أمّا الحرف الأوّل منها فتجعله فصلاً، وذلك لثبوت لام الكلمة وعدم تغييرها في جميع الحالات؛ إذ أنّنا نعلم بأنّ ميزان الكلمة هو (الفاء ، والعين ، واللام)، والتغيير يلحق بما قبل لام الكلمة.

وقد انتهج هذا المنهج؛ الجوهري في كتابه (الصحاح) وعدّ عند العلماء الرائد الأوّل لهذه المدرسة، وإن ادّعى بعضهم أنّ الفارابي (خال الجوهري) هو المؤسس لهذا المنهج قبله.

أما عن ابن منظور؛ فلقد أثرى مقدمة معجمه بجملة من الملامح الصوتية، التي جعلت منه أحد المعاجم التي تأثرت بمنهج الخليل في معجمه العين. بعكس كل من الجوهري في معجمه الصحاح، والفيروزآبادي في معجمه القاموس، الذان تكاد



قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد: جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط1، 1987م.
2. أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى: تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- تهذيب اللغة، تح: عبد الرحمن مخيمر، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
3. أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي: البارع في اللغة، تح: هاشم الطعان، دار الحضارة العربية بيروت، ط1، 1975م.
4. أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979م.
- مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، طبعة إتحاد كتاب العرب، 2002م.
5. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، 1990م.
6. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

8. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م.

9. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1301هـ.

المراجع:

10. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1981م.

- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1987م.

- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995م.

11. إبراهيم بن مراد: مسائل في المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1987م.

12. إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، ط4، 1987م.

13. إبراهيم نجا: المعاجم اللغوية، دار الحديث القاهرة، 2008م.

14. أحمد تيمور، تصحيح لسان العرب، مطبعة الجمالية، مصر، ج1، ط1، 1334هـ.

15. أحمد زرقعة: أصول اللغة العربية، منشورات دار علاء الدين، دمشق ط1.

16. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب القاهرة، ط4،

1972 م.

-علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط5، 1998م.

-صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط1، 1998م.

17. أحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب

العين، دار الفكر، دمشق، 1998م.

- مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت

18. أحمد عبد الله الباتلي: المعاجم وطرق ترتيبها، دار الراية الرياض، ط1، 1992م..

19. أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس، دار صادر، بيروت..

20. أمين محمد فاخر: دراسات في المعاجم العربية، مطبعة حسان القاهرة،

1404هـ.

21. أبو أوس إبراهيم الشمسان: أخطاء الطلاب في الميزان الصرفي، كلية الآداب

جامعة الملك سعود الرياض، ط1، 1995م.

22. أبو الفتح بن جني: الخصائص، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية

بيروت-لبنان، ط1.

-سر صناعة الإعراب، تح حسن الهنداوي، دار القلم

دمشق، ط1، 1405هـ.

23. أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي: الأمالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،

(د.ت).

- الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت.

24. أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: كتاب سيبويه، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط3، 1988م.
25. أبي الثناء الأصفهاني: بيان المختصر، شرح مختصر ابن الحاجب، تح محمد مظهر بقا، دار المدني للطباعة والنشر جدة، د.ط.
26. أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: انباه الرواة على أنباء النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1986م.
27. أبي يعلى البيضاوي: جامع المقدمات العلميّة لمهم المصنفات الشرعية، ج1.
28. ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الجيل بيروت.
29. ابن فارس: الصحاح في فقه اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.
30. تمام حسن: اللغة العربية مبناها ومعناها، الهيئة المصرية للكتاب، ط3، 1985م.
31. جبران مسعود: الرائد معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 2005م.
32. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار ساقى، ط4، 2001م.

33. جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1979م.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مطبعة الحلبي القاهرة،

ط1.

34. جورج زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، ط1، د.ت.

35. جورج مونا: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، تر بدر الدين القاسم.

36. حاتم الضامن: علم اللغة، مطبعة التعليم العالي الموصل، جامعة بغداد، 1989م.

37. حكمت كشلي فواز: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، دراسة وتحليل ونقد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1996م.

38. حلمي خليل: التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،

ط1، 1988م.

- مقدمة لدراسة التراث المعجمي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 1997م.

39. حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1، دار مصر للطباعة.

- المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، دار مصر للطباعة.

40. خالد فهمي: المعاجم الأصولية في العربية، إيتراك للنشر والتوزيع، ط1،

2005م.

41. ديزره سقال: نشأة المعاجم العربية، دار الصداقة العربية بيروت، ط1.

42. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب القاهرة، 2000م.

—علم اللغة العام، دار المعارف مصر، 1973م.

43. محمد أحمد أبو الفرج: مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية، بيروت،

ط1، 1966م.

—المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار

النهضة العربية للطباعة والنشر، 1996م.

44. محمد بن إبراهيم الحمد: فقه اللغة، مفهومه، موضوعاته، قضاياها، د.ط.

45. محمد بن إسحاق بن النديم: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء

والمحدثين وأسماء كتبهم، د-ط.

46. محمد بن حسن بن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتاب

الحديث.

47. محمد التنوخي: المعجم المفصل في علوم اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،

ط1، 1933م.

48. محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث

الهجري، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان.

49. محمد رشاد الحمزاوي: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية

للنشر والتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

50. محمد علي خولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1986م.

51. محمد مصطفى رضوان: العلامة اللغوية ابن فارس اللغوي، دار المعارف مصر،

1971م.

52. محمد يوسف حبلص: نظرية التحليل المعجمية، دار الثقافة العربية، 1992م.

53. مكي درار: الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب، السانية

وهران.

54. مكي درار، سعاد بسناسي: المقررات الصوتية من البرامج الوزارية، دار الأديب،

السانية وهران.

55. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة،

1998م.

56. موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

57. نعمة رحيم العزاوي: أبو بكر الزبيدي الأندلسي وأثاره في النحو واللغة، مطبعة

الآداب، 1995م.

58. عبد الحميد محمد أبو سكين: المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، دار الفاروق

الحديثة للطباعة والنشر، شبرا، ط1، 1981م.

59. عبد الله بن يوسف الجديع: المنهاج المختصر في علمي الصرف والنحو، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط2، 2004م.
60. عبد اللطيف الصوفي: اللغة ومعجمها في المكتبة العربية، دار الأطلاس دمشق، ط1، 1986م.
61. عبد العلي الودغيري: أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، 1983م.
62. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية دراسة في البنية التركيبية، دار صفاء عمان-الأردن، ط1، 1999م.
63. عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحدث، مكتبة الخانجي.
64. عبد السميع محمد أحمد: المعاجم العربية، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، ط2، 1974م.
65. عبده الراجحي: فقه اللغة في كتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
66. عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، بيروت - لبنان، ط2، 1994م.

67. عيد محمد الطيب: المعجم اللغوي بين الواقع والمثال، ط1، 1993م.
68. فاندريس: اللغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاص، مكتبة الأنجلومصرية، 1950م.
69. فايز الداية: علم الدلالة العربية بين النظرية والتطبيق، دار الفكر دمشق، ط2، 1996م.
70. قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد، 2002م.
71. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.
72. شرف الدين الراجحي: محمد بن دريد وكتابه الجمهرة، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 1985م.
73. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تصح: المستشرق مرجليوث، المطبعة الهندية بالقاهرة.
74. يسرى عبد الغني عبد الله: معجم المعاجم العربية: دار الجيل - بيروت، ط1، 1991م.

مخطوطات:

1. حمدي عبد الفتاح السيد بدران، النقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري، إشر: محمد حسن حسن جبل، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر الشريف، 1999م.

2. رفاه سراج محمود جوهري: الاحتجاج بالشعر في معجم الصحاح للجوهري، ماجستير، إشر: عبد الله محمد مسلمي، المملكة العربية السعودية.
3. مأمون تيسير محمد مباركة: الشاهد النحوي في معجم الصحاح للجوهري، رسالة دكتوراه، إشر: أحمد حامد، نابلس فلسطين، 2005م.
4. مكى درار: الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، جامعة وهران السانية.
5. منال أبو بكر سعيد باوزيراش، ألفاظ الأمراض في قاموس المحيط للفيروز آبادي، رسالة ماجستير، إشر: محمود فراج، 1428هـ.
6. عبد الله بن محمد بن عيسى مسلمي، نظام التقاليد في المعاجم العربية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى السعودية، 1432هـ.

مقالات ودراسات:

1. مجلة الصوتيات، أبحاث الملتقى المغاربي الأول للدراسات الصوتية، وقضايا المعجمية الأول، ص53.
2. مجلة الصوتيات، أبحاث الملتقى المغاربي الأول للدراسات الصوتية، وقضايا المعجمية الأول، ص57.
3. مجلة الصوتيات، أبحاث الملتقى المغاربي الأول للدراسات الصوتية، وقضايا المعجمية الأول، ص58.
4. محمود عبد الله الجفّال: منهج أحمد بن فارس في النقد اللغوي في معجم مقاييس اللغة، نقد الخليل وابن دريد أنموذجاً، دراسة، الجامعة الأردنية.

5. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان: دروس في النظام الصوتي للغة العربية، بحث مقدم للفائدة، الأردن، 1428هـ.
6. عبد القادر الفاسي الفهري: تعريب اللغة وتعريب الثقافة، مقال بمجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي، ط5، 1985م.
7. عمر موسى باشا: لسان العرب، المعجم اللغوي العربي الكبير في التراث العربي، مقال بمجلة التراث العربي، ص47.
10. سعاد بسناسي: خلاصة التعليل الصوتي للمستعمل والمهمّل في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، مقال بمجلة الصوتيات، جامعة سعد دحلب البليدة، 2007م.
11. سعاد بسناسي: منهجية أحمد مختار عمر في بناء معجم اللغة العربية المعاصرة، مقال بمجلة الصوتيات، جامعة سعد دحلب البليدة، الملتقى الدولي حول التأليف المعجمي بين الراهن والمأمول، أفريل 2010م.
12. شوقي ضيف: عصر إحياء التراث العربي وتحديدّه، مقال بمجلة " المجلة "، ص11، العدد 112.

فهرس الجداول والرسومات

الصفحة	الرسم
15	● جدول عناصر المعجم ووظيفتها.
32	● جدول لمخارج الحروف عند الخليل.
33	● رسم توضيحي لمخارج الحروف.
55	● جدول مقارنة مخارج الحروف عند الخليل والقبالي.
119	● مخطط توزيع الصوائت على عين ماضي الفعل

فهرس الموضوعات

الصفحة

أ-ج

● المقدمة.

● مدخل تمهيدي:

02	المراحل التاريخية للدرس اللّغوي
03	عناية العرب باللغة
04	عناية العرب بمصدري اللغة
06	اللغة بين المفهوم والوظيفة
08	بوادر ظهور الدرس الصّوتي عند العرب
10	علماء بعد أبي الأسود الدؤلي
11	بدايات التأليف المعجمي
13	ماهية المعجم
16	أنواع المعاجم
17	بين القاموس والمعجم
18	وظيفة المعجم
20	ترتيب الحروف في المعاجم
22	مع المصطلحات
23	مصطلح "الملاح"
23	مصطلح "الصوت"

24	مصطلح "المَقَدَّمات"
26	مصطلح "المعجم"
	● الفصل الأول: المدرسة الصوتية
30	المدرسة الصوتية
31	منهج المدرسة الصَوْتِيَّة
35	1-معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي:
36	مقدمة كتاب العين
39	مقدمة الخليل الصوتية
42	علاقة الصوت بالبنية
43	المسائل الواردة بالمقدمة
45	أثر الذلاقة في أبنية العربية
45	تحديد الخليل لمخارج الحروف
46	المصطلحات الصوتية الخليلية
47	*المبدأ
47	* المخرج
48	* المدرج
48	* الحيز
50	علماء بعد الخليل
52	2-معجم "البارع" في اللغة للقيالي:

52	تأليف البارع أسبابه وأهدافه
53	منهج البارع وترتيبه
58	البنية اللغوية عند القالي
60	3-معجم "تهذيب اللغة" للأزهري
60	تسمية التهذيب ودوافع تأليفه
62	مميزات التهذيب
63	مقدمة معجم تهذيب اللغة
64	باب ألقاب الحروف
68	● الفصل الثاني: مدرسة النظام الألفبائي
69	منهج مدرسة الترتيب الألفبائي
70	1- معجم "محمل اللغة" لابن فارس
72	منهج ابن فارس في معجم "المحمل"
74	مأخذ عن معجم "المحمل"
75	2- معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس
76	منهج ابن فارس في معجم "مقاييس اللغة"
77	موقف ابن فارس من بعض المفردات اللغوية

79	منهج ابن فارس في النقد اللغوي
81	موقف ابن فارس من الخليل
83	نقد ابن فارس للخليل
84	خصائص معجم المقاييس
85	3-معجم "جمهرة اللغة" لابن دريد
86	مقدمة كتاب الجمهرة
87	جهود ابن دريد الصوتية
88	أصوات العربية
89	مخارج الأصوات عند ابن دريد
92	الصفات الأصوات عند ابن دريد
95	الصفات الثانوية
	● الفصل الثالث: مدرسة نظام القافية
100	المنهج العام للمدرسة
101	1- الجوهري مبتكر منهج المدرسة
102	تاج اللغة وصحاح العربية
103	تسمية معجم "الصحاح"
103	منهج الجوهري في معجم الصحاح
105	المميزات الصوتية في الصحاح

105	مآخذ عن معجم الصحاح
108	2- معجم "لسان العرب" لابن منظور
108	المنهج العام لابن منظور في معجمه
110	مقدمة معجم "لسان العرب"
111	باب ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها
113	مآخذ على لسان العرب
115	3- معجم "قاموس المحيط" للفيروزآبادي
115	منهج معجم "القاموس"
116	مقدمة معجم "القاموس"
118	أهمية الصوائت في تغير معاني الصيغ الصرفية الحديثة
121	مآخذ عن معجم "القاموس"
125	● الخاتمة .
129	● فهرس المصادر والمراجع .
143	● فهرس الجداول والرسومات.
145	● فهرس الموضوعات.